


# ترجمات

## عرض وتحليل الفكر العالمى



www.icfsthinktank.org

# هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سوريا


مجموعة الأزمات الدولية

تعليق
ناجح إبراهيم




# ترجمات

## عرض وتحليل الفكر العالمي

**سلسلة شهرية تهدف إلي نشر الفكر العالمي فيما يتعلق بالقضايا والتطورات المؤثرة على مصر أو المنطقة والكيفية التى يري بها العالم قضايانا، وتنشر مع مقدمة تحليلية، وتعليق بشأن الموضوع الذى تتناوله.**



**المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية مؤسسة بحثية مستقلة غير هادفة للربح - (مركز تفكير) - تأسس عام ٢٠٠٤ للدراسة القضايا ذات الطابع الاستراتيجي والتى تتصل بالمتغيرات العالمية وإنعكاساتها المحلية والإقليمية.**

# هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سوريا

مجموعة الأزمات الدولية

تعليق
ناجح إبراهيم

## التقديـم

تختلف التقديرات حول ما يجري في سوريا ما بين ثورة شعبية واجهها النظام بالعنف الشديد أو المفرط وبالزج بالقوات المسلحة مباشرة في معترك التظاهرات الشعبية والمعارضة السياسية ، مما دفع إلي تطور الأمر بتداعيات سريعة نحو صدام عسكري عنيف وتشكيل مقاومة مسلحة تحولت إلى تنظيمات عسكرية وشبه عسكرية تحمل عناوين متعددة لعل أبرزها الجيش السوري الحر والذي يعتمد في قوامه الرئيسي على كوادر عسكرية محترفة منشقة على الجيش النظامي وتضم عناصر من القوى الشعبية ثم تصاعدت دعوات الجهاد لتجذب عناصر وأطرافاً أخرى عديدة من داخل ومن خارج سوريا لعل أبرزها ما يعرف بجيش النصرة ذو التوجهات السلفية الجهادية التي تميل إلي فكر القاعدة ، وبدأ يطفو على السطح تساؤل مهم هل تحولت سوريا إلي ساحة للجهاد؟ في ظل المقاومة الاسلامية الأصولية التي تتنامى في المشهد أم أن الأمر لازال في اطار الثورة الشعبية التي إضطرت إلى الاتجاه نحو المسلك العسكري في مواجهة القوى العسكرية للنظام ؟

هذا هو جوهر هذه الدراسة التي أعدتها مجموعة الأزمات الدولية .. ويعلق عليها أحد الباحثين ذوي الخبرة الواسعة في هذا المجال في محاولة لمزيد من الفهم لما يجري علي الساحة السورية وإحتمالات التطور المستقبلية.

*أسرة التحرير*

*فبراير ٢٠١٣*

## التوافق مع دوجماتية متغيرة

### أ- سوريا والسلفية

رغم أن للسلفية جذور في حركة حداثة إسلامية إصلاحية تعود إلى القرن التاسع عشر حيث كانت واحدة من عدة تيارات أيديولوجية معاصرة، مثل القومية العربية، تسعى إلى شكل من أشكال الإحياء العربي فإن مصطلح" السلفية " تم تبنيه ومنذ ذلك الحين من قبل مسلمين سنة محافظين يسعون إلى تطبيق التفسيرات الحرفية للنصوص الدينية استناداً إلى مَثَل الرسول والصحابة. قبل اندلاع الانتفاضات العربية عام 2011 ، كان المحللون بشكل عام يميّزون بين السلفيين التقليديين، الذين جعلوا من الدعوة أولوية لهم ووضعوها فوق النشاط السياسي، والسلفيين الجهاديين، وهم فرع صغير من السلفيين، على حد تعبير خبير فرنسي، يعتنقون" هجيناً من الأيديولوجيا الإسلامية مبدؤها العقائدي الأول هو عقلنة وجود وسلوك المجاهدين."

ونزع السلفيون التقليديون إلى دعم الحكام العرب الذين يمارسون الحكْم المطلق (خصوصاً الأسرة الحاكمة في السعودية وحلفائها)، ويرفضون الديمقراطية بوصفها تعديّا بشريا على سلطة الله وينكرون أية محاولة للإطاحة بالمؤسسة الحاكمة سواء عن طريق العنف أو بأي وسيلة أخرى بوصفها انتهاكاً للشريعة الإسلامية. في حين يشاطر السلفيون الجهاديون السلفيين التقليديين احترامهم للتفسير الحرفي للنص الديني الإسلامي ويرفضون الديمقراطية، فإنهم يضيفون إلى هذه النزعة المحافظة التزاماً لا غموض فيه بالجهاد العنفي ضد أعداء الإسلام المزعومين، سواء كانوا دولاً أجنبية (إسرائيل، أو الولايات المتحدة أو روسيا، على سبيل المثال)، والسلطات المحلية (معظم الأنظمة العربية، بسبب معارضتها للحكم الإسلامي أو دعمها لما يطلق عليه" حرب الغرب على الإسلام") أو ممثلي الأديان الأخرى، والملحدين و"المرتدين" (أي المسلمين المنتمين إلى مدارس فكرية أخرى.)

إلا أنه، وفي السياق الذي أحدثته الانتفاضات العربية، فإن بعض الملامح التي كانت تميّز السلفيين التقليديين بدأت بالتلاشي. فبعد سنوات من التهميش السياسي،

تخلى عدد من معتنقي السلفية في اليمن، وتونس، وليبيا ومصر عن معارضتهم للممارسات السياسية الديمقراطية، وأسسوا أحزاباً للتنافس في حلبات السياسة التي فُتحت حديثاً؛ ففي مصر، فاز السلفيون بحوالي % 25 من مقاعد البرلمان. وهذا التراجع السريع عما كان موقفاً مبدئياً محورياً يعكس تناقضاً في جوهر السلفية المعاصرة: رغم أنها تزعم" الصرامة"، وتبدو دوغمائية ومتصلبة، فهي تظهر في الواقع قدراً كبيراً ومفاجئاً من المرونة، وهو ما يمكن أن يكون ذا قيمة كبيرة في أوقات الاضطرابات والصراعات السياسية.

وفي سوريا، منعت عوامل سياسية، واجتماعية وثقافية إمكانية نمو النزعة السلفية، على الأقل في البداية؛ فالقمع الذي مورس لوقت طويل، والذي تصاعد بعد عام 2001 ، منع بشكل عام نشوءها داخل المشهد الإسلامي المحلي، بشكل أكثر فاعلية مما حدث في أي مكان أخر في المنطقة. وتتمتع سوريا بتاريخ طويل وعميق وحي من ممارسة المذاهب الإسلامية المعتدلة؛ وهي رغم عدم مناقشتها في هذا التقرير حاضِرة بقوة داخل المعارضة. كما أن المجتمع السوري يفخر بالتعايش السلمي بين مختلف طوائفه. ولقد رأى رأي العين تبعات الصراع الطائفي عندما دمرت الحرب الأهلية اثنين من جيرانه، أولاً لبنان، ومن ثم العراق. هذا علاوة على أن الإسلاميين المتشددين والعلمانيين الصارمين يمثلون أقليات صغيرة بين نشطاء ومقاتلي المعارضة ومعظمهم من المسلمين السنة الذين لا يربطهم انتماء أيديولوجي قوي.

إلا أن المرونة المفاجئة لهذه الفئة المعروفة بتصلبها، إضافة إلى سمات هامة أخرى، تفسّر سبب اكتساب السلفية مزيداً من النفوذ وبسرعة في سوريا مع انتشار العنف، رغم أنها كانت تمثل مكوناً لا يذكر على المشهد الديني السني في البلاد قبل الانتفاضة. وتضفي السلفية شرعية فورية ومطلقة على أولئك الذين يستحضرونها لجهة أنها تهدف إلى تتبّع سنة النبي. ويمكن التعرف على أتباعها بعلامات هامة وواضحة جداً تتمثل في اللحى بطول معين، وحلق الشوارب والأثواب التي تصل إلى أعلى الكاحل .رغم أن كبار الدعاة السلفيين عادة ما يكونون ضليعين في علوم الدين،

فإن السلفية في تجسّدها الأكثر شعبية لا تتطلب أي خلفية ثقافية معينة أو أي تدريب أكاديمي، فالسلفيون الذين يعتمدون على أنفسهم يعتمدون بشكل جوهري على مجرد تكرار النصوص التأسيسية، ما يمكّن المنبوذين اجتماعيا وما يسمى بتجار الدين من الوصول إلى مكانة معينة بصرف النظر عن الثراء، أو التحصيل العلمي أو النسب.

كما تسمح السلفية بدرجة أكبر من الحرية في تعريف الأعراف الدينية مما يقدّم في المؤسسات، والتقاليد والتفسيرات العريقة التي تفرض على المدارس الإسلامية الأخرى نوعا من الهيكلية والقيود الصارمة. وأخيراً، فهي تستند إلى رواية تتناسب مع الاحتياجات المتولدة عن الصراع العنيف، سواء تعلق الأمر بتعريف وتصنيف العدو؛ أو حشد الدعم من أجل الجهاد؛ أو تبرير الشهادة. وبالنسبة للطبقة الدنيا المحافظة التي تنفصل هويتها الإسلامية عن النخب المحلية المكوّنة من رجال الدين والتي تمثل العمود الفقري الاجتماعي الاقتصادي للمعارضة، فإن جاذبية السلفية كانت واضحة تماماً.

الأكثر أهمية من ذلك هو أن السلفية قدّمت لهذه المجموعة إجابات لم يكن بوسع غيرها تقديمها؛ وشكلاً مباشراً وسهلاً من المشروعية والنظام المعتقدي، وكلاهما كانا حاسمين في وقت الصراع والعنف المفرط، ووسيلة بسيطة وواضحة في تعريف العدو على أنه النظام الكافر غير المسلم؛ والحصول على التمويل بفضل شبكة تمتد عميقاً إلى الخليج وطوّرت علاقات اقتصادية وثيقة مع عدد من المناطق السورية الأكثر تأثراً بالأزمة. كما استفادت السلفية من التجربة التي راكمها مقاتلوها في معارك أخرى؛ وتطوّع هؤلاء للقتال، وبذلك قدموا معارفهم وخبراتهم للمجموعات المسلحة المحلية غير الخبيرة. وعلى النقيض من ذلك، فإن القيادات الدينية التقليدية لم يكن لديها الكثير مما تطرحه، وكانت جهودها في التواصل ضعيفة؛ وبطريقة مماثلة، فإن معارضة المنفى والمجتمع الدولي باتا مصدرين للإحباط العميق.

ويمرور الوقت، ومع تطور الصراع إلى حرب أهلية موسعة ، فإن حتى الشخصيات القيادية في المعارضة بدأت بترديد المخاوف التي عبر عنها الغرب

لوقت طويل من أن دور المقاتلين المتطرفين سيتنامى. في يوليو 2012 ، وبالإشارة إلى القاعدة وجماعات جهادية أخرى، حذّر العميد مصطفى الشيخ، رئيس المجلس العسكري الأعلى للجيش السوري الحر، قائلاً" :إنهم يكبرون ويكبرون. إنهم يحصلون على مواقع أقوى داخل البلاد بمرور كل يوم. الوضع خطير جداً".

**ب . سلفيات متنوعة**

في سياق تحليل نفوذ المجموعات السلفية، ينبغي للمرء أن يأخذ عدة عوامل بعين الاعتبار. أولاً، ينبغي الانتباه للاختلافات الكامنة ليس فقط بين المجموعات المسلحة التي تعتنق الخطاب السلفي وفصائل المعارضة الأخرى بل أيضاً بين المجموعات السلفية المختلفة نفسها. ومن بين الأسئلة الهامة في هذا السياق هو ما إذا كان المرء يعتنق مفهوم السلفية الجهادية في الجهاد العالمي (الذي تدعو إليه القاعدة) أو يهدف لاستبدال نظام الأسد بشكل إسلامي في الحكم. وكما توضح الحالة العراقية بشكل جلي، فإن مثل هذه التمايزات مؤثرة ويمكن أن تكون سبب الانقسامات العنيفة داخل المعارضة. ويمكن للطموحات العالمية للسلفية الجهادية أن تهدد الأهداف الأكثر محلية أو المجموعات المسلحة الرئيسية ذات الميول السلفية، ففي حين أن الأولى قد تسعى لتدمير الدولة القائمة، فإن الثانية قد تهدف فقط إلى حكمها.

ثانياً، وحتى بين المجموعات التي تقتصر أهدافها على سوريا، فإن دوافعها تختلف. وبالنسبة للبعض، فإن تبني الأسماء، والخطاب والرموز السلفية تعكس التزاماً صادقاً بالمُثل السلفية؛ أما بالنسبة لآخرين، فهي تعبر عن محاولة براجماتية للتزلف للمانحين الخليجيين الأثرياء المحافظين. فقد أثار عبد الرزاق طلاس، القائد متوسط الرتبة، والذي يتمتع بحضور متميز في وسائل الإعلام وبشعبية كبيرة، والذي يقود كتيبة الفاروق في حمص، لغطاً شعبياً في دوائر المعارضة عندما أرخى لحيته على الطريقة السلفية. لكن، وطبقاً لناشط بارز من حمص، فإن القرار كان بمثابة محاولة لإرضاء مموليه الخليجيين أكثر منه تحولاً أيديولوجيا. وبشكل عام، فإن التزلف إلى الممولين الخليجيين المحافظين ينعكس في مواقف وحدات الثوار؛

ففي يونيو أصدرت مجموعة صغيرة من المقاتلين فيديو على يوتيوب تعطي فيه لوحدتها رسميا اسم شيخ كويتي كان قد قدم الدعم لها.

ثالثا، ومنذ ظهرت أولى مجموعات المقاتلين في صيف عام2011 تميزت الانتفاضة المسلحة بأنها تتكون من مجموعات غير مترابطة تطرأ عليها تغيرات مستمرة. ولم تضع معظم المجموعات المسلحة بعد أيديولوجية صارمة لنفسها ولم تتخذ هيكلية قيادية واضحة؛ حيث يرتفع عدد الأعضاء في مختلف الفصائل وينخفض باستمرار، وينتقل المقاتلون من مجموعة إلى أخرى حسب توافر الأموال والأسلحة وحسب العلاقات الشخصية، إضافة إلى وضع قوات النظام. أضف إلى ذلك أن المجموعات تتمتع بدرجات متفاوتة من الوصول إلى وسائل الإعلام التقليدية والاجتماعية، ما يؤثر في درجة وصولها إلى المراقبين خارج محيطها المباشر. وفي بعض الأحيان، يتم التحكم بحسابات فيسبوك والاتصال بالقنوات الإخبارية الفضائية العربية من قبل نشطاء خارج البلاد، وفي معظم الأحيان في الخليج. وهذا، إضافة إلى التمويل الخارجي، يعني أن لهجة النشطاء وفصائل المقاتلين على الإنترنت تكون غالباً أكثر إسلامية (وفي بعض الأحيان أكثر سلفية) من مجموعات المعارضة الفعلية على الأرض.

وجميع هذه العوامل مجتمعة تعقد مهمة تقييم حجم، وفعالية وتماسك مجموعات الثوار. نتيجة لذلك، فإن هذا التقرير يركز على المجموعات التي وثقت تأثيرها وقوتها على الأرض على مدى فترة طويلة من الزمن، وقدّمت أدلة على المزاعم التي تطلقها على الإنترنت من خلال أشرطة الفيديو.

وأخيراً، لا بد من ذكر كلمة تحذيرية حول طبيعة الجيش السوري الحر؛ ففي حين أن الصحفيين والمحللين الغربيين والعرب يشيرون إليه أحياناً كما لو كان منظمة متماسكة، فإنه في الواقع أشبه باسم أو علامة مميزة منه بقوة عسكرية موحدة. والعديد من الفصائل بالكاد تنسق فيما بينها، وتتقاسم مصادر التمويل أو تبذل جهود أولية لتأسيس هيكليات سيطرة وتحكم مناطقية. وبسبب ظهور بعض الشخصيات البارزة فيه على محطات التلفزيون العربية وفي الفيديوهات على يوتيوب، فإن

شخصيات مثل العقيد رياض الأسعد، القائد الظاهري لهذا الجيش؛ وعبد الرزاق طلاس؛ ورئيس المجلس العسكري الأعلى مصطفى الشيخ أسهموا في ظهور مبادئ غامضة ومتغيرة يزعم الجيش السوري الحر بأنه يتبناها، والتي يمكن اختصارها في أنه يمثل المعارضة المسلحة الرئيسية؛ وأنه غير عقائدي؛ وأن قادته يتعاملون بمسئولية مع المجتمع الدولي؛ وأنهم يعتنقون فكرة سوريا ديمقراطية تضمن حقوق وحريات جميع مواطنيها. رغم ذلك، فإن الجيش السوري الحر لم يتوصل حتى الآن إلى تسلسل قيادة موحّد، أو أخلاقيات عمل أو انتماء سياسي قادر على توحيد عشرات الألوية التي تقاتل تحت رايته.

رغم أن الفصائل العاملة تحت اسمه تختلف كثيراً، فإن شهرة الجيش السوري الحر تعني أن أي مجموعة تختار عدم فعل ذلك تؤكد على انفصالها واستقلاليتها عنه. وأغلبية المجموعات البارزة التي امتنعت عن تبني اسم الجيش السوري الحر هي على الأغلب مجموعات ذات منظور سلفي؛ وقد اختارت عدة مجموعات رايات سوداء كأعلام لها مصحوبة بعلم الثورة ثلاثي الألوان أو في حالات نادرة بدونه. ويميّز هذا التقرير بين المجموعات، السلفية وغيرها، التي تصف نفسها بأنها جزء من الجيش السوري الحر وتلك التي لا تفعل ذلك، ويقر في نفس الوقت بأن الخط الفاصل بين الفئتين غير واضح في كثير من الأحيان.

**١ - تربة خصبة، ومحصول غير مؤكد**

كما ذكرنا أعلاه، فإن الانتفاضة تجذرت في فئة اجتماعية كانت من حيث المبدأ مستعدة لاستقبال النفوذ السلفي، والتي تتمثل في فئة المهاجرين الريفيين المسحوقين الذين تركّز معظمهم في الأحياء غير المنظمة التي تحيط بالمدن الكبرى. وعلى عكس الحلقة الداخلية للنظام والنخب الحضرية، فإن هذه الشريحة من السكان لم تتمتع بثمار الانفتاح الاقتصادي الذي تحقق بعد عام 2005 . وسنوات الجفاف والانكماش الاقتصادي خارج المراكز السياسية والتجارية أفضت إلى فترة طويلة سمتها الهجرة من الأرياف إلى الضواحي. وزرع هؤلاء الناس المعتادون على

أساليب الحياة الريفية التقليدية فجأة في بيئات خشنة تنزع الملامح الشخصية عن الناس وبعيدة جداً عن شبكات الدعم الاجتماعي التي كانت تحيط بهم. وفي هذه الأثناء، تخلت الدولة تدريجياً عن تقديم الكثير من الخدمات، وبات حزب البعث، الذي كان يتمتع في وقت ما بجذور عميقة بين الشرائح المهمشة، غير ذي صلة بهذه الظروف.

وهذه التجمعات الفقيرة والمهمشة التي تعيش في الضواحي المحيطة بدمشق، وحلب وحمص، والتي تفتقر إلى الصلات بالمؤسسة الدينية التي تقدم خدماتها بشكل أساسي للنخب الحضرية، شكلت تربة ملائمة للدعاة السلفيين. وعلى النقيض من طبقة التجار ذات التوجهات الاقتصادية الليبرالية والمحافظة اجتماعياً والتي تعيش في المدن الكبرى، والتي تضرب جذور هويتها عميقاً في التقاليد والأعراف الراسخة التي تتطلب أنشطتها التجارية نوعاً من البراجماتية الدينية، فإن المهاجرين الريفيين بدوا مستعدين لاعتناق الرؤية السلفية.

ويمكن المجادلة بأن تصاعد البعد المذهبي للصراع كان العامل الأكثر حسماً وراء انتشار الرؤية السلفية. خلال العديد من السنوات، سعى حتى بعض قادة الرأي السنة الرئيسيين إلى تصوير إيران وحلفاءها الشيعة (وهو تصنيف يضعون فيه العلويين أيضاً، ويعتبرون دينهم بدعة نشأت عن المذهب الشيعي) تهديداً خطيراً لهم. وبالنسبة للعديد من السلفيين البارزين، فإن مواجهة المخاطر الثقافية والجيوسياسية المتجسدة في ما يعتقد أنه محور شيعي تحظى بالأولية على المخاطر التي تشكلها إسرائيل أو الغرب. وأحدثت هذه الرؤية بعض الاختراقات قبل الانتفاضة السورية، إلا أنها سعت إلى توسيع دائرة نفوذها. ولقد وفرت الظروف الراهنة للسلفية فرصاً فريدة وغير مسبوقة لاكتساب المزيد من التأييد في أوساط السنة في سوريا وخارجها.

ولمدة أربعين عاماً، عاشت الأغلبية السنية في سوريا في ظل حكم تهيمن عليه إلى درجة كبيرة عائلة الأسد العلوية؛ فقد بُنيت أجهزته العسكرية والأمنية والاستخبارية بطريقة تضمن أن تظل القوة الحقيقية في البلاد في أيدي أبناء الطائفة.

وهذا لا يعني أن النظام كان يمثل مصالح العلويين، فحتى هذا اليوم، ما يزال أفراد الطائفة يُعتبرون بين الأفقر في البلاد كما لا يعني أنه تجاهل المكونات الأخرى. ولم يشمل النظام الأقليات فقط بل ممثلين عن السنة أيضاً. وبالفعل، فإنه، وبسعي العائلة الحاكمة للحصول على الدعم من مؤسسة الأعمال والمؤسسة الدينية السنية (خصوصا في دمشق، وفي السنوات الأخيرة في حلب)، وإظهارها أشكالاً من العبادات السنية، والزواج من نساء سنيات وتعيين السنة في مناصب هامة وفي بعض الأحيان حساسة، فإنها خصوصا في ظل حكم بشار ضمنت أن هيكلية السلطة تعكس شرائح واسعة من المجتمع.

غير أن رد النظام على الاحتجاجات فاقم وأبرز عمق هويته المذهبية. ومع انتشار المظاهرات، اعتمد النظام بشكل متزايد على العناصر الأكثر ولاءً، والتي يطغى عليها العنصر العلوي في قواته الأمنية لسحق انتفاضة غالبية المشاركين فيها من السنة. والأهم من ذلك ربما هو الدور الحاسم الذي لعبه الشبيحة، وهم البلطجية المتوحشون الذين انضموا إلى عمليات قمع المحتجين وحُمّلوا مسئولية بعض أكثر المجازر وحشية. ورغم أن الشبيحة ليسوا حصريا علويين بأي حال من الأحوال، فإنهم في عدة مناطق خصوصا في وسط سوريا يتكونون على الأغلب من أفراد الطائفة الموالين للنظام، وفي كثير من الأحيان يكونون من القرى المجاورة للمناطق السنية التي يهاجمونها.

وعززت عوامل أخرى المحاولات السلفية المبكرة والمستمرة لتصوير الصراع على أنه بشكل أساسي مذهبي الطابع. وبشكل عام، فإن شريحة واسعة من العلويين إما ظلت صامتة أو دعمت النظام؛ ولاقت الجهود المتواضعة التي بذلتها المعارضة للتواصل معهم وتطمينهم أذانا صماء، وأخفقت في إقناع أفراد الطائفة بأنهم سيكونون آمنين في سوريا المستقبل وبالتالي ينبغي أن ينشقوا عن الأسد. ونتيجة لذلك وكذلك نتيجة غياب أي مشاركة علوية واضحة في الانتفاضة، فإن الشبيحة باتوا يمثلون الطائفة العلوية في نظر السنة.

تعززت الرواية المذهبية أكثر من خلال هوية أولئك الذين أظهروا دعمهم للنظام بأكثر الأشكال علنية واستمراراً: الشخصيات السياسية الشيعية العراقية، وإيران وحزب الله، حيث يكرر قادة هذا الحزب ومحطته التلفزيونية المقولات الدعائية للنظام. كما اكتسبت تقارير غير مؤكدة نشرها على نطاق واسع نشطاء سوريون، ووسائل إعلام موالية للسعودية وشخصيات سلفية مفادها أن هؤلاء قدّموا للنظام مساعدة عسكرية مباشرة قدراً كبيراً من المصداقية في أوساط المعارضة. كما أن حقيقة أن هؤلاء اللاعبين يدعمون الانتفاضة البحرينية (ذات الأغلبية الشيعية) جعل الطبيعة المذهبية لهذا الدعم أكثر وضوحاً.

بشكل عام، فإن اعتماد النظام على المقاتلين العلويين المحليين والشيعة الأجانب أدى إلى نشوء رواية شائعة على وجه الخصوص في معاقل المعارضة السنية تساوي الصراع بالمقاومة ضد احتلال أجنبي والهجمات ضد قوات الحكومة بالجهاد ضد المحتل. وكون هذا الموضوع أتى في أعقاب ثلاثة عقود مما دُعي بالمقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الروسي، والإسرائيلي والأمريكي، فإنه لقي صدى واسعاً في سائر أنحاء المنطقة.

لقد استفاد السلفيون من اتجاهات وديناميكيات أخرى. كان هناك أولاً خيبة الأمل بالتوجهات المتنافسة للمعارضة. رغم بقاء المظاهرات السلمية سمة محورية للانتفاضة ولصورتها، فإنها أثبتت عدم قدرتها على زعزعة قبضة النظام على السلطة؛ ومع تلاشي الآمال بتسوية سريعة وغير عنيفة، فإن القادة المعتدلين أخفقوا في تقديم بديل قابل للحياة. وفقدت الأصوات المعارضة التي تدعم الحوار مصداقيتها، مع لجوء النظام بشكل أكثر وضوحاً إلى حل أمني وعسكري، واتضاح أن إصلاحاته كانت سطحية. وانقسم القادة العلمانيون داخل معارضة المنفى حول تسليح الجيش السوري الحر والدعوة إلى التدخل الأجنبي؛ حيث أن أولئك الذين رفضوا كلا المسارين فقدوا تأييد أنصارهم على الأرض في الانتفاضة داخل سورية، في حين أن أولئك الذين يفضلون هذين الخيارين لم يثبتوا فعاليتهم في حشد الدعم الدولي اللازم. كما نناقش أدناه، فإن الأصوات الإسلامية المعتدلة ظلت صامتة على الأغلب.

ثانياً، استفاد بعض السلفيين من إخفاق المجتمع الدولي في تقديم الدعم الحاسم للمعارضة. ورغم أنه ما من شك في أن مناشدات النشطاء من أجل الحصول على الدعم الغربي تعقدت بسبب الرسائل الصادرة عن السلفيين بالنظر إلى موقفهم التقليدي المعادي للغرب والولايات المتحدة، وإحجام الأوروبيين عن إرفاق الدعم اللفظي بإجراءات ملموسة، ما عزز الرواية القائلة بأن الغرب شريك سلبي في جرائم النظام. وبطريقة مماثلة، فإن تردد الغرب بتسليح الجيش السوري الحر سواء كان ذلك مبرراً أم لا مصحوباً بالفشل الأولي لدول الخليج العربي بالوفاء بالتزاماتها في تزويد المعارضة بالأسلحة لعب دون شك لصالح المجموعات المسلحة السلفية. وعلى عكس الجيش السوري الحر الذي ظلت أفعاله مقيدة بمقولة تؤكد الدفاع عن النفس إضافة إلى خشيته من تنفير داعميه الغربيين المحتملين فإن هذه المجموعات شعرت بحرية أكبر في الترويج لهجماتها العنيفة ضد قوات النظام والشبيحة طوال ربيع عام 2012. وقد أدى هذا إلى ظهور تصور شعبي، رغم أنه مبالغ به، بأن المجموعات السلفية هي الوحيدة الفاعلة.

أحد نشطاء حمص قال:

المزاج السوري يتحول تدريجيا من معتدل إلى راديكالي. وفي حين يفكر الأمريكيون ويخططون، فإن الإسلاميين المتطرفين يقاتلون كل يوم للحصول على دعم الشعب، وإلى أن تصبح الولايات المتحدة مستعدة لاتخاذ قرار، فإن كل سوريا ستكون قد أصبحت إسلامية.

وفي نفس السياق، فإن الإحجام الغربي عن تقديم الدعم لمجموعات المعارضة المسلحة وتأخر دول الخليج العربي بالقيام بذلك وفر للمانحين الخليجيين الأفراد ميزة التفوق في هذا المجال؛ حيث أنهم هم أنفسهم سلفيون في الغالب، ويميلون على الأرجح للتبرع للمجموعات السلفية، مما يمنح هذه المجموعات ميزة نسبية أخرى. وقد أخبر أعضاء في مجموعة قيادية من النشطاء في حمص مجموعة الأزمات أن التبرعات القادمة من المغتربين السوريين ومن العرب في بلدان الخليج ساعدت على نمو تيار إسلامي متزايد بين المقاتلين اعتبارا من مطلع عام 2012. وبحلول مايو،

وطبقاً لأحد النشطاء، فإن معظم الأموال التي كانت المجموعات المسلحة تتلقاها في حمص كان يرسلها" إسلاميون لإسلاميين."

وتطورت ديناميكية مشابهة في محافظة إدلب، حيث نشأت كتائب، أحرار الشام بين أبرز المقاتلين في الشمال. وفي يونيو2012 ذكر صحفي غربي في إدلب أن إمكانية وصول السلفيين مباشرة إلى التمويل الخليجي كانت مثار حسد للقادة المحليين للجيش السوري الحر، الذين اشتكوا بمرارة من أن قادتهم الموجودين في تركيا لا يقدمون لهم ما يكفي من التمويل والسلاح.

لقد كانت آثار الدعم الذي يقدمه المتبرعون المحافظون أكبر من مجرد تعزيز قوة الفصائل السلفية مقارنة بنظرائها الآخرين في المعارضة، لقد دفع هذا الدعم المقاتلين غير السلفيين للانضمام إلى الوحدات السلفية القادرة على تزويدهم بالأسلحة والذخيرة. وبدأت المجموعات التي ليس لها أي انتماء أيديولوجي على الإطلاق بتبني الرموز، واللغة والمظاهر المرتبطة بالسلفية لتلك الغاية. وفي حين أن مثل هذه الأنماط من السلوك قد تظهر إلى حد بعيد كظاهرة انتهازية وتقود بالتالي إلى تقييمات مبالغ بها تفيد بتنامي التيار الإسلامي، فبمرور الوقت يمكن أن تتحول تلك المظاهر إلى مشاعر حقيقية، مع طغيان الصراع القائم على أرضية دينية على جيل من المقاتلين. لكن، كما نناقش أدناه، فإن من شأن ذلك أن يحدث ردة فعل عكسية، إذا انخرط هؤلاء السلفيون السطحيون في أنماط من السلوك تشوّه سمعة التيار بشكل عام.

**انتقال المجموعات السلفية من الهامش إلي المركز**

مع تصاعد الرد العسكري للنظام في النصف الأخير من عام2011 فإن التركيز الأصلي للمعارضة المسلحة على الوحدة الوطنية والدفاع عن النفس تعرضت للتحدي من قبل منظور أكثر عدوانية وذا طابع إسلامي صريح. وأعلنت أبرز المجموعات المرتبطة بهذا التيار، وهي جبهة النصرة وكتائب أحرار الشام، عن تأسيسها في أواخر يناير2012 . ورغم أن معظم نشطاء التيار الرئيسي في المعارضة، وسياسيوها وقادة الجيش السوري الحر أحجموا عن استعمال مصطلح

الجهاد، فإنهم إضافة إلى عدة مجموعات سلفية مستقلة ظهرت اعتبارا من يناير وما بعد اعتنقوا المبدأ صراحة. وقد طوّرت كل منها، بدرجات متفاوتة، منظوراً سلفياً مميزاً يصور معركتها على أنها صراع ديني ضد نظام علوي طائفي. وفي حين أن هذه الفصائل ليست بحجم وسمعة تلك العاملة تحت لواء الجيش السوري الحر، إلا أن تكتيكاتها العدوانية وتقنياتها البارعة في التسويق أصبحت ذات أثر كبير في إعادة صياغة شروط الحوار داخل سورية.

**المشهد السلفي**

**١. جبهة النصرة لأهل الشام**

ظهرت جبهة النصرة على مشهد المجموعات المسلحة في أواخر يناير 2012مع ظهور مقطع فيديو يعد بإطلاق الجهاد ضد النظام. وفي حين أن ضعف جودة المقطع، والترجمة الإنجليزية واللغة الهجومية والطائفية بشكل صريح دفعت مجموعات المعارضة الرئيسية إلى وصفه بأنه ناتج عن إحدى مناورات النظام لتقويض مصداقية مقاتليها، فإن جبهة النصرة تلقت مديحا فوريا على الإنترنت من قبل مؤيدي القاعدة.

وبظهورها في وقت هيمنت محاولات النشطاء وقيادة الجيش السوري الحر على خطاب المجموعات المسلحة في المعارضة لاجتذاب الدعم الغربي وتصوير العنف الممارس ضد النظام على أنه دفاع عن النفس، والالتزام بهدف تحقيق الديمقراطية غير الطائفية، فإن جبهة النصرة ميّزت نفسها باستعمال صور وخطاب سلفي جهادي واضح، محذرة من السعي للحصول على المساعدات الغربية وهجومها على الحكومة التركية على أساس أنها غير إسلامية بشكل كافٍ وأنها عبارة عن بيدق أمريكي. وبالنسبة للمجموعة، فإن الإطاحة بالأسد تمثل نصف المعركة فقط؛ أما النجاح فسيتحقق فقط عند استبدال النظام بأكمله بدولة إسلامية تتبع المبادئ السلفية.

ورغم أن مجموعات أخرى تبنت خطاباً ورموزاً مشابهة، فإن جبهة النصرة تتميز عن غيرها من المنظمات السلفية المسلحة لعدة أسباب، فهي تعلن مسئوليتها

بشكل منتظم عن هجمات انتحارية في الأحياء المدنية؛ و تُعتبر من قبل القاعدة المجموعة السلفية الجهادية المفضلة؛ وتستعمل استراتيجية توزيع إعلامية على الإنترنت شبيهة بتلك التي تستعملها المنظمات التابعة والمرتبطة بالقاعدة. ورغم أنها أعلنت مسئوليتها عن عشرات الهجمات ضد قوات الأمن في سائر أنحاء البلاد، فإنها باتت معروفة بشكل خاص لإعلانها المسئولية عن تفجيرات انتحارية كبيرة في دمشق وحلب في مطلع عام 2012. وفي حين أن عملياتها الدعائية سعت إلى تصوير هذه الهجمات على أنها استهدفت بدقة وعناية مبانٍ أمنية حكومية وعناصر أمن، فإن أجهزة الإعلام الموالية للنظام، والموالية للمعارضة ووسائل الإعلام الغربية جميعها تحدثت عن عدد كبير من القتلى المدنيين. وسواء تعلق الأمر باختيار الهدف (مبانٍ حكومية في أحياء حضرية مزدحمة) أو التكتيكات (استعمال الهجمات الانتحارية)، فإن ثمة عناصر مشتركة تربطها بالقاعدة في العراق أكثر مما تربطها بفصائل المعارضة السورية.

ويمكن قول الشيء ذاته عن اعتناق جبهة النصرة الصريح للخطاب الطائفي: رغم أن معظم فصائل الثوار تسعى إلى تهدئة مخاوف الأقليات وتصف صراعها بحرب تحرير نيابة عن جميع السوريين، فإن جبهة النصرة تصور نفسها على أنها المدافع الجريء عن الطائفة السنية ضد "العدو العلوي" و" عملاءه الشيعة". وتستعمل بشكل روتيني التعبير الهازئ "الروافض" بالإشارة إلى الشيعة، وهي ممارسة شائعة بين المجموعات المسلحة السلفية الجهادية العراقية. كما أن استعمال كلمة "النصيري" بدلاً من العلوي فيها نفس القدر من الاستهزاء، الذي يهدف إلى إبراز انفصال هذه الطائفة عن الإسلام الصحيح؛ حيث تشير كلمة نصيري إلى مؤسس الطائفة، وهو أحد تلاميذ الإمام الشيعي الحادي عشر، وحيث أن" علوي " تشير إلى علي بن أبي طالب، الذي يعتبر من قبل السنة رابع الخلفاء الراشدين.

لقد أثارت أوجه الشبه الظاهرية هذه مع ممارسات القاعدة في العراق الرعب في العواصم الغربية وأضرت بسمعة المجموعة في أوساط قادة الانتفاضة وداعميها الرئيسيين. وأشار المسئولون الأمريكيون علناً إلى أن ما لا يقل عن هجومين تبنتهما

جبهة النصرة نفذا من قبل القاعدة في العراق، التي يتهمونها بمحاولة اختراق المعارضة المسلحة. ورغم أن جبهة النصرة لم تعترف بوجود صلات مباشرة بينها وبين القاعدة في العراق، فإن أعضاءها أقروا بوجود مقاتلين عراقيين، ويمنيين، وسعوديين، وأردنيين، وكويتيين، وليبيين وكازاخيين بين صفوفهم.

وكما ذكرنا، ففي أوساط المعارضة، انتشرت مزاعم كثيرة بأن النظام نفسه مسئول مباشرة أو بشكل غير مباشر عن تنظيم تفجيرات دمشق وحلب في مطلع عام 2012من أجل تخويف الأقليات السورية والقوى الغربية. ومن وجهة نظر بعض شخصيات المعارضة، وفي البداية على الأقل، فإن عنف جبهة النصرة كان معداً لإثبات مزاعم النظام بأنه كان يواجه إرهابيين سلفيين. ومن هنا فإنهم استنتجوا بأن الأجهزة الأمنية كانت قد نفذت تلك الهجمات؛ أشار آخرون، بمن فيهم السفير السوري المنشق في العراق، بأنها ناشئة عن تعاون قديم بين المخابرات السورية والقاعدة في العراق. واتهم أحد الشخصيات السلفية الجهادية السورية البارزة، أبو بصير الطرطوسي، المجموعة علناً أيضاً بخدمة مصالح النظام. وبصرف النظر عن مصداقية مثل تلك المزاعم، فإنها عقدت جهود جبهة النصرة في الحصول على قبول واسع من الجهات الداعمة للمعارضة.

ورغم ذلك، فإن ثمة مؤشرات على أنه، ومنذ يونيو، فإن جبهة النصرة قد تكون صححت أخطاءها التي ارتكبتها في البداية وعززت مصداقيتها وتعاونها مع مجموعات رئيسية للثوار. وهذا يتضح بأجلى صوره في مدينة حلب التي أصبحت ميدان معركة، وحيث يبدو أن المقاتلين الموالين لها يعملون إلى جانب مقاتلي كتائب أحرار الشام ولواء التوحيد، ويقودون قوات الثوار المشاركين في العمليات العدائية (انظر أدناه). وتظهر مقاطع الفيديو على الإنترنت أعضاء في المجموعتين يقاتلون ويحتفلون معاً. وقال أحد قادة جبهة النصرة في حلب لصحفي أن 300 مقاتل بقيادته كانوا ينسقون مع لواء التوحيد.

ولقد أكسب مثل هذا التعاون الصريح، مع نظرائها الأكبر، جبهة النصرة مديحاً علنياً من قادة بارزين للثوار ومن النشطاء المحليين. وفي أغسطس أشاد أحد

القادة البارزين للواء التوحيد بمساهمة المجموعة، وشرح متحدث باسم المجلس الثوري لحلب وريفها وهي مجموعة بارزة للنشطاء ترتبط بلواء التوحيد أن مقاتلي جبهة النصرة مرحب بهم "كأبطال" في المدينة. وعلى نحو مماثل، ظهرت أعلام جبهة النصرة مؤخراً وسط جموع من المتظاهرين الهاتفين خلال مظاهرات يوم الجمعة في بنش، إحدى معاقل المعارضة في محافظة إدلب.

وحتى اليوم، فإن جبهة النصرة تظل المجموعة المسلحة النشطة الوحيدة التي تحظى بالقبول المباشر من إداريي منتديات الإنترنت الموالين للقاعدة ومن الشخصيات السلفية الجهادية البارزة. وتحظى موادها الدعائية بمصادقة شبكة التوزيع الإعلامية التابعة للقاعدة والتي تظهر على أبرز المنابر الموالية للقاعدة على الإنترنت وهو "شموخ الإسلام." وقد أشار رجال دين سلفيين جهاديين بارزين مرتبطين بالقاعدة بشكل محدد إلى جبهة النصرة على أنها الفصيل الإسلامي الأكثر أصالة وموثوقية في سوريا وحثوا الجهاديين المحتملين على الانضمام إلى صفوفها.

وعلى نحو مماثل، فإن الطريقة التي يتم بها عرض مواد جبهة النصرة على الإنترنت وطريقة توزيعها تعكس استراتيجية إعلامية مألوفة لجمهور الجهاديين لكنها فريدة بين المجموعات المسلحة السورية.و في حين أن فصائل أخرى تقوم بشكل منتظم بتحديث صفحاتها الرسمية على فيسبوك ويوتيوب بالتوثيق المباشر للهجمات التي تقوم بها، فإن جبهة النصرة تستعمل نموذجاً إعلاميا أكثر بطئاً شبيه بأسلوب القاعدة في العراق. وبدلاً من إطلاق البيانات اليومية، فإنها تشير إلى معظم عملياتها بعد أيام من القيام بها، وتصدر بيانات رسمية تغطي عدة هجمات في منطقة معينة. وفي حالة الهجمات الكبرى فقط تركز بياناتها على حدث واحد، وحتى في مثل تلك الحالات فإن بيانات تحمّل المسؤولية تصدر بعد ما لا يقل عن 24 ساعة وفي بعض الأحيان بعد ذلك بكثير. أما مقاطع الفيديو التوثيقية فتصدر متأخرة أكثر من ذلك، حيث تلجأ المجموعة عادة إلى تقديم موادها بطريقة أكثر استعراضية وكفاءة من الناحية التقنية مما تفعله المجموعات الأخرى. علاوة على ذلك، فإن كل شيء ينشر من خلال المنتديات الجهادية على الإنترنت، ما يشكل دليلاً على صدقيتها

لأنصارها على الإنترنت الذين يسارعون إلى إعادة نشرها على فيسبوك، ويوتيوب، وتويتر ومواقع أخرى.

والمفارقة هي أن هذه الاستراتيجية الفريدة في التوزيع أسهمت في بقاء المجموعة مغمورة نسبياً في مشهد مزدحم بالمجموعات المسلحة. فكتائب الجيش السوري الحر والفصائل السلفية المستقلة، التي تطلق تصريحات سريعة ومقاطع فيديو على يوتيوب، حققت لنفسها سمعة بين الجماهير الموالية للمعارضة والمعتادة على متابعة الأحداث بإيقاع يقترب من حدوثها على الأرض. وتتم إعادة إرسال المواد والفيديوهات على صفحات فيسبوك التي تحظى بالشعبية وبسرعة وتظهر على القنوات التلفزيونية العربية الصديقة؛ وهذا يقدم للجمهور المناصر للانتفاضة معرفة تقريبية، إن لم تكن بالضرورة دقيقة، حول الفصائل المسلحة الأكثر نشاطاً وأين تنشط. وعلى النقيض من ذلك، فإن الإيقاع البطيء والمتأخر لجبهة النصرة يتعارض مع شهية الجمهور للإشباع الفوري، ويحد من قدرة المجموعة على صياغة النقاشات ويقلص مستوى قبولها بشكل عام. وبالنسبة لأولئك الراغبين في تجاهل دورها، فإن ذلك سهّل تجاهل هذا الدور المتنامي.

### ٢ ـ المجموعات السلفية الأخرى

في حين أن جبهة النصرة ظهرت على أنها المجموعة المفضلة لدى أنصار القاعدة، فإن مجموعات سلفية مستقلة أقل شهرة أثبتت نجاحاً أكبر في الحصول على موطئ قدم في أوساط المعارضة المسلحة الرئيسية. إنها تحتل فعلياً موقعاً وسطاً بين جبهة النصرة والجيش السوري الحر.

وعلى عكس جبهة النصرة، فإنها لم تعلن مسئوليتها عن هجمات في الأحياء المدنية؛ ولم تصرح علناً بتبنيها للتفجيرات الانتحارية؛ وابتعدت عن خطاب الجهاد العالمي المرتبط بشكل عام بالقاعدة. ومن جهة أخرى، وعلى النقيض من الفصائل الرئيسية للجيش السوري الحر، فإنها تبرر اللجوء إلى العنف حصرياً داخل مرجعية

إسلامية؛ وتعلن أن هدفها النهائي هو تحقيق الحكم الإسلامي؛ ولا تقدم تطمينات لجهة إقامة نظام ديمقراطي بعد رحيل الأسد. وفي نفس الروح، فإنها تنزع لتبني الصور والخطاب السلفيين، وتضيف أعلاماً إسلامية سوداء إلى علم المعارضة الثلاثي الألوان وتطعّم فيديوهاتها بالأناشيد التي تمجد الجهاد، وهي العلامة البارزة المرتبطة بالدعاية الإسلامية المتشددة. كما أن هذه المجموعات تنزع إلى الإشارة إلى عدوها بعبارات مذهبية صريحة.

تشير النقاشات التي تجري على الإنترنت إلى أن الجماعات السلفية المستقلة كانت حتى الآن أكثر فعالية من جبهة النصرة في تحقيق المصداقية بين الأنصار الرئيسيين للثورة. ورغم أنها تحظى بتغطية إعلامية أقل من تلك التي يحظى بها نظراؤها في الجيش السوري الحر على شبكات التلفزة الفضائية العربية وتعتنق أيديولوجيا تبقى إشكالية داخل صفوف المعارضة، فإنها لا تطلق حملات علاقات عامة ترتبط بالقاعدة وبالتالي فإن كثيرين في المعارضة ينظرون إليها على أنها لاعب مشروع. وتزعم المجموعات السلفية المستقلة بأنها تنسق عملياتها مع وحدات الجيش السوري الحر، وغالباً ما لا يميز أنصار المعارضة على الإنترنت بين الاثنين، رغم الشكل المختلف لموادهما الدعائية ورغم اختلاف أيديولوجيتهما.

لا يبدو أن المصداقية التي حظيت بها مثل تلك المجموعات السلفية المستقلة لدى الدوائر الوسطية تحققت على حساب الدعم الذي يحظى به الجهاديون. ورغم أن عملياتهم لا تحظى بمصادقة الشخصيات الجهادية الرئيسية أو منتديات الإنترنت ذات الصلة بالقاعدة، فإن هذه العمليات تحظى عادة بمديح المتعاطفين مع الجهاديين الذين ينشرون موادهم الدعائية أيضا على الإنترنت، وفي بعض الأحيان يذهبون إلى حد دعوة المجموعات لتشكيل جبهة موحدة مع جبهة النصرة.

### كتائب أحرار الشام

تعرف أبرز المجموعات السلفية المستقلة، كتائب أحرار الشام، بلجوئها إلى هجمات تستعمل فيها العبوات المزروعة على جوانب الطرق وبحملاتها الدعائية

المتقدمة على الإنترنت. ورغم أنها تعلن أحياناً مسئوليتها عن هجمات بالتعاون مع كتائب الجيش السوري الحر، فإنها تصف نفسها بأنها بديل سلفي مستقل لتلك المجموعة الأشهر. وهي تؤكد أن لديها أكثر من" 20 كتيبة "مرتبطة بها في سائر أنحاء البلاد، رغم أن مراجعة لعملياتها المصورة على الفيديو تشير إلى أن أنشطتها تتركز في الشمال الغربي، خصوصاً في محافظة إدلب، حيث تتمتع مجموعات المعارضة بدرجات متفاوتة من السيطرة على بعض المدن والمناطق الريفية. كما أنها تنشط بشكل متزايد في محافظات اللاذقية، وحماة وحلب؛ وفي أغسطس، قدّر أحد الصحفيين العاملين في حلب أنه كان لديها 500 مقاتل في المدينة.

وكانت المجموعة بين أولى فصائل المعارضة التي توثق الهجمات بالعبوات الناسفة محلية الصنع ضد قوات النظام، وتحدّث بانتظام صفحتها على فيسبوك بفيديوهات لتفجير العبوات الناسفة على جوانب الطرق مستهدفة القوافل العسكرية. وبطريقة مماثلة، فإنها تزعم بأنها أرسلت سيارات محملة بالمتفجرات وموجهة عن بُعد، وهو تكتيك بدأ تجريبه في العراق واستعمل أيضاً من قبل جبهة النصرة. ولكن ومع إقرار أعضاءها بأن لديهم خبرات في صنع القنابل اكتسبوها من الجهاديين الذين قاتلوا في العراق وأفغانستان، فإنهم ينكرون أن هناك مقاتلين أجانب في صفوفهم.

وقضية التفجيرات الانتحارية أكثر دقة وحساسية. فخلال الأشهر الأربعة الأولى التي أعقبت ظهورها الرسمي في يناير ٢٠١٢ ، لم تعلن كتائب أحرار الشام عن مسئوليتها عن أي من هذه الهجمات؛ لكن مؤخراً، أصبح الوضع أكثر تشوشاً. وفي7 يونيو، نفذت عملية بشاحنة على نقطة تفتيش للنظام قرب بلدة خان شيخون في محافظة إدلب، وأعلنت المجموعة عن الهجوم على فيسبوك ويوتيوب في اليوم التالي، مؤكدة أن السيارة كانت تقاد عن بعد. وقائد كتائب أحرار الشام في خان شيخون ناقض تلك الرواية وقال إن مجموعته كانت قد شنت هجوماً على نقطة تفتيش في نفس ذلك اليوم مستعملة انتحارياً في التاسعة عشرة من عمره. وأضاف أنه، ورغم أن تلك العملية الانتحارية كانت الأولى لكتيبته، فإن كتائب أخرى لأحرار الشام كانت قد لجأت بشكل منفصل إلى هذا التكتيك من قبل.

ومن خلال التواصل على الإنترنت، تقدم كتائب أحرار الشام أهدافها الرئيسية ومعتقداتها الأيديولوجية على أنها خوض الجهاد ضد الجهود التي تقودها إيران لفرض سيطرتها على بلاد الشام وتأسيس دولة إسلامية. وهي تكرّس صفحة كاملة على فيسبوك للدعوة، وتحدّث الصفحة باستمرار بتوجيهات سلفية عملية. وإضافة إلى ذلك، فهي تشجع الأنشطة الإنسانية، وحمّلت فيديو على يوتيوب يظهر مقاتليها وهو يحزمون المواد الإغاثية ويوزعونها على السكان المحليين.

إن تسارع إيقاع التوسع الجغرافي لعمليات كتائب أحرار الشام ترافق بتحقيق بروز أكبر في وسائل الإعلام، فبحلول مطلع يونيو ٢٠١٢، بات يتم الحديث عنها على أنها أكبر منظمة عسكرية في جبهة ثوار سوريا حديثة التشكيل، وهي عبارة عن تحالف سياسي عسكري يهيمن عليه الإسلاميون. والمفارقة أن أحرار الشام رغم إقرارها بدورها القيادي بتأسيس التحالف، فإنها رسمياً علقت مشاركتها بعد يوم من انطلاقته، في تعبير واضح عن عدم ارتياحها للهجته المعتدلة. وبعد ستة أسابيع، عادت المجموعة مرة أخرى وعكست مسارها، ورفعت تعليق عضويتها بعد تبني التحالف لميثاق سياسي جديد وهو ميثاق يدعو بشكل أكثر صراحة إلى تأسيس دولة إسلامية، ويؤكد الالتزام بـ " المعاهدات والاتفاقيات الدولية طالما لا تتعارض مع مبادئ الشريعة" ويعلن الرغبة بـ " تفعيل الدور الايجابي لسورية في جميع المجالات"، في مسعى لاتخاذ خط حذر بين الموقف الإسلامي الأكثر وضوحا ومحاولة براجماتية للاحتفاظ بالعلاقات مع المجتمع الدولي.

**لواء صقور الشام**

تأسس لواء صقور الشام في نوفمبر 2011 ، ومنذ مارس 2012 ، ظهر بصفته إحدى أقوى المجموعات المسلحة في محافظة إدلب، حيث ذُكر أن لديه حوالي 4,000مقاتل. وتوضح مواده المنشورة على الإنترنت الخطوط الرمادية الفاصلة بين المجموعات السلفية المستقلة والجيش السوري الحر من جهة وبين بعضها البعض من جهة أخرى؛ ويزعم لواء صقور الشام بأنه قام بعمليات مشتركة مع كتائب

أحرار الشام في محافظة إدلب وأن كلا المجموعتين تنسقان الهجمات إلى جانب وحدات الجيش السوري الحر.

في الواقع، وفي أول فيديو تطلقه المجموعة يصور هجماتها، أكد قائد المجموعة أحمد الشيخ، (الذي يشار إليه عادة بـ أبو عيسى)، أنها جزء من الجيش السوري الحر. وفي الأسابيع التالية أسقط لواء صقور الشام الإشارة إلى الجيش السوري الحر وبدأ على نحو متزايد بتبني الخطاب السلفي، مطلقاً فيديوهات وبيانات باسمه. ومنذ ذلك الحين ظهر الشيخ في فيديو يصدر فيه التعليمات لمقاتليه بأن هدفهم النهائي يجب أن يكون تأسيس دولة إسلامية، وفي 27 يوليو، ألقى خطبة يحث فيها جمهوره على التركيز على نشر السلوك الإسلامي الصحيح في محيطهم. وتنشر الصفحة الرسمية للمجموعة على فيسبوك بشكل منتظم مواد تدعو إلى الحكم الإسلامي؛ وفي إحداها، يخبر السوريين بأن عليهم أن يرفضوا أي هوية وطنية أو قومية، حيث أن الادعاء بالوحدة الوطنية بين السنة والعلويين والمسيحيين محظورة بشكل مطلق بموجب الشريعة.

في محاولة واضحة للتوجه إلى أكثر من جمهور من عرب الخليج المحافظين إلى الدول الغربية، فإن لواء صقور الشام خفف على الإنترنت من شدة اعتناقه للخطاب السلفي بتضمينه وجهات نظر أكثر اعتدالا.و في اجتماعاته مع الصحفيين الغربيين، على سبيل المثال، يقر الشيخ ومسئولين آخرين بأن هدفهم النهائي هو إقامة دولة إسلامية لكنهم يتحدثون أيضاً عن ضمان الحقوق الديمقراطية للأقليات. وهو موقف أقرب إلى ذاك الذي تتبناه فروع الإخوان المسلمين منه إلى الخطاب السلفي التقليدي.

كما أن موقف المجموعة بشأن التفجيرات الانتحارية غامض أيضاً. وفي عدة مناسبات، أعلنت مسئوليتها عن هجمات يقوم فيها شخص بقيادة سيارة محملة بالمتفجرات إلى نقطة تفتيش تابعة للنظام .في أول هذه الأمثلة، أكدت المجموعة أنها لم تكن" عملية استشهادية"؛ بل إنها، كما زعمت، كانت قد خبأت متفجرات في سيارة شخص يُشك بأنه عميل سري للنظام، ثم فجرت السيارة عندما وصل إلى نقطة

التفتيش. في المناسبة الثانية، تشير صفحته على فيسبوك إلى عميل للنظام، رغم أن الفيديو الذي يصور التفجير والمنشور على الصفحة يسمي الهجوم بوضوح" عملية استشهادية."

ومهما يكن من أمر، فإن لواء صقور الشام كان أول مجموعة مسلحة غير جبهة النصرة تعلن عن استخدامها للعبوات الناسفة التي تحملها سيارات يقودها سائقون أحياء، كتكتيك يرتبط عادة بالعناصر الأكثر تطرفاً في المجموعات المسلحة العراقية. ومنذ ذلك الحين تم تبني الأسلوب من قبل كتائب أحرار الشام، التي تزعم بدورها بأنها تتشاطر قدراتها في تفجير السيارات عن بُعد مع لواء صقور الشام. وكان التعاون بين هاتين المجموعتين واضحاً بين أواسط يونيو وأواسط يوليو 2012 ، عندما أعلنا مسئوليتهما على الأقل عن ثلاثة تفجيرات مترابطة تستهدف نقاط تفتيش للنظام ونفذت بواسطة سيارات.

**لواء الإسلام**

ينشط لواء الإسلام في دوما وضواحي دمشق القريبة منها منذ مارس 2012 ويشكل دليلاً آخر على مرونة الخطوط الفاصلة بين الجماعات السلفية المستقلة عن وحدات الجيش السوري الحر. واللواء وكتيبة شهداء دوما التابعة للجيش السوري الحر يعلنان عن عمليات مشتركة، ويشيدان بالأنشطة المستقلة لكليهما بصورة لا تخلو من تندر على صفحات فيسبوك.

ويبدو أن الفرق الرئيسي بين المجموعات لا يتعلق بالاستراتيجية والتكتيك بقدر ما يتعلق بالأيديولوجيا واللهجة، رغم أن هذه الاختلافات لم يكن لها أثر ملموس على استعداد لواء الإسلام للتعاون مع الجيش السوري الحر. وعلى عكس نظرائه في الجيش السوري الحر، فإن لواء الإسلام اختار العلم الإسلامي الأسود؛ ويعرّف نفسه على أنه جماعة" جهادية مقاتلة"؛ ويقوم بهجمات باسم" الجهاد في سبيل الله"؛ ويعتنق المفهوم السلفي للشريعة. وتتميز لهجة ومحتويات مواده الدعائية بصبغة دينية قوية، ودلالات سلفية تتناقض مع الخطاب الإسلامي الأوسع والأكثر عمومية الذي تتبناه

مجموعات الجيش السوري الحر. وتضم الشخصيات الدينية السلفية البارزة التي تؤيدها المجموعة عدنان العرعور (وهو رجل دين سوري يتمتع بنفوذ كبير نناقشه أدناه)، ونبيل العوضي، وهو داعية كويتي يتمتع بشخصية كاريزمية وتظهر خطبه الانتقادية اللاذعة للشيعة بشكل بارز في المواد التي تُبث على الإنترنت. كما يحتفظ بصفحة خاصة على فيسبوك تهدف لإيضاح مواقفه الأيديولوجية وتشجع على السلوك السلفي بين مقاتلي اللواء.

وتتميز المواد التي ينشرها على صفحة فيسبوك بالمذهبية المفرطة رغم أن المجموعة سعت للتوضيح بأنها لا تحبذ حرباً شاملة ضد العلويين. وفي إحدى الفتاوى، تشرح اللجنة الشرعية للواء أن الثوار ينبغي أن يقاتلوا مقاتلي النظام بصرف النظر عن طائفتهم وأن الدعوات إلى التطهير العرقي ضد المدنيين العلويين غير مشروعة دينياً ولا تنسجم مع المصالح الأوسع للثورة. ورغم أنه لا يمكن الادعاء بأن المجموعة غير مذهبية، إلا أن مثل هذه التأكيدات تميزها (وتميز منظمات سلفية مستقلة أخري) عن المواقف التي تتبناها القاعدة في العراق وجبهة النصرة حيث استهدفت الأولى الشيعة لسنوات وهددت الثانية بالتعامل مع العلويين بطريقة مماثلة.

**كتائب الأنصار**

تصف كتائب الأنصار، النشطة منذ مارس 2012 في مدينة حمص وضواحيها، مهمتها على أنها الجهاد، وتشجع على السلوك السلفي الصحيح وتتحدث صراحة عن الطبيعة المذهبية للصراع. وتبنت المجموعة العلم الإسلامي الأبيض، وترفعه إلى جانب العلم الثلاثي الألوان. كما أنها تتصدى لمسألة العلاقات مع فصائل المعارضة السلفية؛ وتلاحظ البيئة الفاسدة التي عمل بها العديد من المقاتلين قبل الثورة (سواء في الجيش أو في عصابات الأحياء)، وتصف المواد المختلفة الموجودة على الموقع المقاتلين الذين لا يمارسون الشعائر الدينية بأنهم أخوة" مرضي" ينبغي معالجتهم من أمراضهم الروحية بدلاً من معاقبتهم أو مواجهتهم.

وبصرف النظر عن هذه المقولات الدينية، وكما في حالة لواء الإسلام، فإن كتيبة الأنصار تحتفظ بعلاقات تعاون مع نظرائها البارزين في الجيش السوري الحر، خصوصاً كتيبة الفاروق (التي نناقشها أدناه.) وفي مطلع أبريل 2012 ، أوردت أن علاقتها مع أحد فصائل الجيش السوري الحر بأنها السبب الرئيسي لقبولها بوقف إطلاق النار الذي طالب به مبعوث الأمم المتحدة والجامعة العربية كوفي عنان رغم أنها لم تنفذه، مستحضرة انتهاكات النظام لتبرير استمرارها بالعمليات العسكرية.

**تأثير المقاتلين الأجانب**

منذ الأيام الأولى للانتفاضة أضحت مسألة المقاتلين الأجانب في صفوف المعارضة قضية ذات مضامين سياسية. وسعى النظام لتضخيم وفي بعض الأحيان فبركة الأدلة على وجود نشاط جهادي أجنبي لتعزيز حجته بأن" إرهابيين " غير سوريين يشكلون جزءا من مؤامرة عالمية لزعزعة استقرار البلاد. وتزعم وسائل الإعلام الرسمية بشكل روتيني بأن جثث المقاتلين والمدنيين التي تنتشر في الشوارع في أعقاب العمليات العسكرية هي جثث مقاتلين أجانب. وعلى النقيض من ذلك، فإن التيارات الرئيسية في المعارضة، وحتى وقت قريب، كانت ترفض بشكل مباشر أي تلميح إلى ذلك؛ لكن في مواجهة أدلة لا يمكن دحضها ، فإنها، أي المعارضة، لجأت إلى التقليل من شأن هذه الظاهرة.

وعلى الرغم من عدم وجود أدلة ملموسة على أن المقاتلين الأجانب يمارسون نفوذاً عمليا أو سياسيا أو أيديولوجيا هاما فإن وجودهم أكدته تقارير الصحفيين العاملين سواء في البلاد أو في أنحاء أخرى من المنطقة وكذلك من خلال المواد التي تنشرها المجموعات الجهادية المقاتلة على وسائل الإعلام الاجتماعية. وقد يكون الأثر الملموس الأقوى هو ذاك الذي تجلى في المسائل العملياتية التكتيكية. وكما لاحظنا أعلاه، فإن العبوات الناسفة محلية الصنع والسيارات المفخخة بعبوات ناسفة، التي يشار إليها عادة بتفجيرات السيارات المفخخة بدأتها في عام 2012 جبهة النصرة وكتائب أحرار الشام، التي يُرجع أعضاءها مهاراتهم في صناعة العبوات

المتفجرة إلى المقاتلين من ذوي الخبرة في الجماعات المسلحة الأفغانية والعراقية. كما أقر القادة المحليون في الفصائل المرتبطة بالجيش السوري الحر بدورهم باكتساب الخبرات في التعامل مع المتفجرات من هاتين المجموعتين؛ ومنذ يونيو 2012، ومقاتلي الجيش السوري الحر يستعملون العبوات الناسفة محلية الصنع وبشكل أقل العبوات الناسفة المحملة على السيارات.

لقد كان للمقاتلين الأجانب حضور مباشر في القتال إلى جانب المجموعات المسلحة المقاتلة السورية. ومعظم الفصائل تنكر ذلك، رغم أن عدداً من الصحفيين الموجودين في الشمال يذكرون مشاهدتهم لأجانب يعملون في مجموعات يقودها سوريون، ومن وقت لآخر، يؤكد بعض الثوار أن أجانب يعملون في كتائبهم. وطبقاً لجميع الروايات، فإن غير السوريين يشكلون جزءاً صغيراً من المقاتلين، وتشير الأدلة المتوافرة إلى أن معظمهم يعملون في الفصائل السلفية ومجموعة مستقلة بارزة يقودها مهدي الهراتي، وهو ليبي كان قائداً رئيسياً في الثورة ضد القذافي. إلا أن السرية تحيط بأنشطة المقاتلين الأجانب وتجعل من الصعوبة بمكان تقييم عددهم ومواقعهم والتداعيات التي قد تترتب على وجودهم.

ورغم ذلك فإن عدة حوادث ساعدت في تسليط بعض الضوء على هذه الظاهرة، في حين تبرز المآزق التي تشكلها للمعارضة المسلحة في حساب المنافع التكتيكية لدعم الجهاديين الأجانب مقابل الكلفة الاستراتيجية لذلك من حيث العلاقات مع الغرب والصورة الإجمالية للجماعات المسلحة .في 19 يوليو 2012 ، على سبيل المثال، ظهرت مجموعة لم تكن معروفة في الماضي من الجهاديين الأجانب تسمي نفسها مجلس الشورى، وتقاتل إلى جانب مقاتلي الجيش السوري الحر في العملية الشهيرة التي أدت إلى السيطرة على معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا. ورغم أن ظهور الجهاديين في فيديوهات على يوتيوب وعلى وسائل الإعلام الغربية وضع المتحدث باسم الجيش السوري الحر المقيم في تركيا في موقع دفاعي، فإن من الواضح أن المقاتلين المشاركين في المعارك كانوا يقدّرون هذا الدعم، وامتدحوا "إخوانهم المجاهدين" في فيديوهات صورت خلال الاحتفال الذي تبع ذلك.

إلا أنه وفي ذات اليوم، اعتقل جهاديون أجانب صحفيين غربيين في مكان آخر على الحدود، واحتفظوا بهما لمدة أسبوعين إلى أن حررهما مقاتلو الجيش الحر. وتصاعدت حدة التوتر بين فصائل الثوار الرئيسية والجهاديين الأجانب العاملين في المنطقة في الأسبوع التالي، وفي 4 سبتمبر، ذُكر أن مقاتلين من كتيبة فاروق الشمال، وهي مجموعة تابعة لكتائب الفاروق، اختطفت وأعدمت رئيس مجلس الشورى.

انعكست حقيقة أنه كان لوجود المقاتلين الأجانب كلفة حقيقية في تحوّل أحد قادتهم وأنصارهم، كما عبّر عن ذلك في مقابلة مع مجموعة الأزمات. غادر هذا الرجل سوريا بعد ما ذكر أنها عشرة أشهر من القتال، وعبّر عن شكوكه حول دور هؤلاء المقاتلين:

"لقد تسبب المقاتلون العرب بالكثير من المشاكل على الأرض. إنهم لا يعرفون شيئاً عن المجتمع السوري. معظمهم لا يعرفون خريطة البلاد، ولا مدنها الرئيسية، ولا جيرانها، ناهيك عن المشهد الطائفي والعرقي. في كثير من الأحيان، لا يمتلكون أي خبرة عسكرية. وقد تسبب جهلهم بردّة فعل في المجتمع السوري. حتى لو تمكن المتطوعون الأجانب من المساعدة في الإطاحة بالنظام، فإنهم سيجعلون الأمور أكثر صعوبة في اليوم الذي يلي سقوط النظام. لقد فاقم اعتمادهم على عدة داعمين مختلفين ومتنافسين من حدة انعدام التنسيق بين المجموعات السورية المسلحة. كما أن وجودهم يخدم النظام الذي يستعملهم كتبرير للدمار الهائل الذي يسببه. ويعد المقاتلون العرب بضع مئات فقط معظمهم تونسيون، وليبيون، وسعوديون، يتم تجنيدهم غالبا على الإنترنت. وفي البداية كان هناك تعبئة إقليمية هائلة فيما يتعلق بسوريا، لكن ذلك هدأ الآن. أنا أدعوهم لمغادرة البلاد نهائياً."

## السلفية داخل الجيش السوري الحر

ليست السلفية حكراً على المجموعات التي تعلن سلفيتها. إضافة إلى التسميات الإسلامية، واستعمال الخطاب الإسلامي، فإن عدداً من الكيانات التابعة للجيش السوري الحر تشير بإيجابية إلى عدنان العرعور ورجال الدين السلفيين الآخرين. بعبارة أخرى، فإن التمييز الأكثر أهمية ليس ما إذا كانت مجموعة معينة تعتنق الفكر السلفي بدرجة ما، بل ما إذا كان هذا الفكر هو المكوّن الذي يحدد منظورها إلى العالم، وهويتها والسبب الذي يدعوها إلى القتال.

معظم فصائل الجيش السوري الحر لا تطلق برامج سياسية ولا تتصدى للقضايا الأيديولوجية الأوسع، لكنها على وجه الإجمال تصوّر الثورة على أنها صراع وطني ضد دكتاتورية قمعية وليس كجهاد سني ضد نظام علوي. لا شك أن المقاتلين السنة الملتزمين دينياً - خصوصاً أولئك القادمين من الأرياف والضواحي التي تقطنها الطبقة العاملة – هم العنصر الطاغي على صفوف الجيش السوري الحر، لكنهم يتوجهون إلى الإسلام من أجل الإلهام الشخصي والروحي وليس كنموذج عملي لدولة ما بعد الأسد. الأهم من ذلك، وفي حين لا يمكن إنكار التدين السني الذي يعتنقه مقاتلو وفصائل الجيش السوري الحر، فإن قرارهم بالقتال تحت رايته يعني أنهم يخدمون في قوة أعلن أبرز قادتها، العقيد رياض الأسعد والعميد مصطفى الشيخ، أنهم يعتنقون مبادئ الديمقراطية غير المذهبية.

وعلى سبيل المثال، عندما أطلق عبد الرزاق طلاس، الوجه المعروف لكتيبة الفاروق التابعة للجيش السوري الحر في حمص، لحيته بالطول والأسلوب السلفي، فإنه لم ينحرف عن خطابه غير المذهبي والداعي إلى "سوريا تقدمية وديمقراطية"؛ وبشكل مماثل فإن كتائب الفاروق نأت بنفسها علناً عن العناصر الأكثر تطرفاً في المعارضة وذلك بالاعتراف بالاتفاقيات الدولية (التي يرفضها الجهاديون السلفيون) وحذّرت القاعدة من التدخل في الثورة. وسواء كانت هذه المواقف تعكس رؤيتها

الحقيقية أو كانت محاولة براجماتية لاكتساب الدعم الغربي، فإن مثل هذا الخطاب شائع بين قادة الجيش السوري الحر في حين أنه نادر بين الفصائل السلفية المستقلة.

في نفس الوقت، وكما لاحظنا أعلاه، فإن الاختلافات بين الجيش الحر والجماعات السلفية المستقلة (بما فيها جبهة النصرة الأكثر تشدداً) لم تعق التعاون فيما بينها. ويمكن رؤية أثر هذا التعاون في استعمال فصائل الجيش الحر لتكتيكات التفجيرات الأكثر عدوانية منذ يوليو الماضي. يذكر صحفيون غربيون يعملون في محافظتي إدلب ودير الزور أن جبهة النصرة تشرك على نحو متزايد كتائب الجيش الحر في قدراتها في صنع القنابل. وفي الوقت الراهن على الأقل، فإن مجموعات الثوار الرئيسية المتلهفة للحصول على أسلحة وتكتيكات فعالة تجد على الأرجح أن مزايا مثل هذا التعاون تفوق المخاوف السياسية والأيديولوجية طويلة الأمد – خصوصا وأن احتمالات التدخل العسكري الغربي تبدو بعيدة.

**توحيد المعارضة ؟**

يمكن تفسير صعود المجموعات الأصولية السلفية بوصفه المنتج الثانوي الطبيعي والمتوقع لتصاعد العنف مصحوباً بتلاشي الآمال بالتوصل إلى حل سريع. ورغم ذلك، وبالنسبة للمعارضة السورية، فإن هذه القضية إشكالية؛ حيث أنها تضفي شرعية على فرضية النظام وبالتالي تساعد على تبرير أعماله القمعية؛ وتقلق الداعمين الأجانب الفعليين والمحتملين؛ وفي حين أنها تكسب بعض السوريين، والمتطوعين الجهاديين والرعاة الإسلاميين الخارجيين لقضيتها، فإنها في نفس الوقت تلحق الضرر بالرسالة الأوسع للمعارضة وتعزز قدرة النظام على حشد قاعدته الشعبية وحلفائه.

نتيجة لذلك، أطلقت المعارضة عدة حملات في السنة الثانية من الثورة في محاولة لتوحيد صفوف الثوار، وتعزيز فعاليتها بشكل عام، واحتواء أو على الأقل توجيه الرؤى الأكثر تطرفاً وتأسيس العمود الفقري لمؤسسات ما بعد الأسد. ويعرض هذا الجزء من التقرير عدداً من هذه المحاولات على المستويين الوطني والمحلي.

وفي حين أن بعضها كان له هدف محدد هو تقليص نفوذ المتطرفين، فإن المحاولات الأخرى أطلقها إسلاميون يسعون إلى تنظيم المشهد غير المنظم للثوار. والحصيلة مختلطة، كما يتضح من المشهد الراهن للمعارضة.

وتمتلك معظم تشكيلات الثوار الموجودة حالياً من الموارد ما يكفي لاستمرارها لكنها ليست قوية بما يكفي سواء لاستيعاب مجموعات في مثل حجمها أو رفض التحالف معها. وفي نفس الوقت، فإن الفصائل الإسلامية الأكثر تطرفاً قوية بما يكفي للاستمرار، لكنها تشعر بشكل متزايد بالحاجة إلى التواصل مع المقاتلين في الفصائل الرئيسية بدلاً من تنفيرهم. وأخيراً، ولأن الجهود التي يبذلها الداعمون الأجانب تبقى متفرقة ومشتتة، فإنها تحافظ على التحالفات المحلية المتنافسة بدلاً من تعزيز اندماجها في هيكلية موحدة ومتماسكة للمعارضة. مقاتل أجنبي سابق في سوريا خرج من تجربته مقتنعاً بأن الاحتمال الأخير ضروري للنجاح: "لقد أصبحت مقتنعاً أن الطريقة الوحيدة لهزيمة النظام تتم من خلال توحيد المجموعات المسلحة المحلية وإدماج المكونات الأخرى في المجتمع. لكن حتى الآن فإن الدول والشبكات الإسلامية التي تدعم المعارضة تعمل في معظمها ضد تحقيق هذا الهدف، حيث تمول كل منها الجماعة التي تفضلها."

ورغم ذلك، وعندما يتعلق الأمر بمحاربة النظام، فإن مجموعات المعارضة من جميع المشارب نجحت نسبيا في وضع خلافاتها جانباً. رغم ظهور تقارير تتحدث عن صدامات بين الجيش السوري الحر والمقاتلين الجهاديين، فإن مثل هذه الحوادث تبقى حتى الآن معزولة ولا يبدو أنها عطلت التوجه العام نحو التعاون عبر الفوارق الأيديولوجية. ومن المرجح لهذه النزعة أن تتوسع طالما ظلت قوات الثوار تعتقد بأنها ضرورية وطالما تجنبت العناصر الأكثر راديكالية فيها (كما في التفجيرات التي تُسقط عدداً كبيراً من الضحايا المدنيين) التي تلحق الضرر بنظرائها غير السلفيين. ويعزز مثل هذا التعاون مصداقية مجموعات المقاتلين السلفيين ويكسبها قدراً أكبر من الاحترام في صفوف المعارضة بأسرها حيث تنشر مجموعات النشطاء المحليين مواد دعائية سلفية على الإنترنت، ومن المعروف أن فصائل الجيش السوري الحر

القيادية تعمل بالتعاون مع المجموعات السلفية. باختصار، وفي سياق من استمرار تجزؤ المعارضة، فإن القرب الجغرافي والأهداف المشتركة قصيرة الأمد ستبقى أكثر تأثيراً من الانتماء الأيديولوجي في تحديد العلاقات بين الفصائل العسكرية المحلية.

**المجالس العسكرية**

عندما يتحدث قادة الجيش السوري الحر في تركيا لوسائل الإعلام الدولية كما لو أنهم يتحدثون نيابة عن مؤسسة متماسكة، فإن قدرتهم على ضبط المجموعات التي تقاتل تحت لواءهم تظل محدودة في أحسن الأحوال. وبهذا المعنى، فإن تأسيس المجالس العسكرية يشكل المحاولة الأكثر طموحاً حتى الآن لتنظيم عشرات "الألوية "و"الكتائب" التي تعرّف عن نفسها كجزء من الجيش السوري الحر، ما يضعها في إطار معترف به للقيادات المناطقية التي تنسق الاستراتيجيات والرسائل الإعلامية.

تم القيام بجهد أولي في يناير 2012 من قبل العميد مصطفى الشيخ بُعيد انشقاقه. وكان هدفه تعزيز التنسيق بين فصائل الجيش السوري الحر والتأسيس لهيكلية القيادة والسيطرة. ولهذه الغاية، أنشأ وترأس المجلس العسكري الأعلى للجيش السوري الحر كي يكون هيئة إشرافية على المجالس العسكرية المناطقية، التي تكلّف هي بدورها بتنسيق الاستراتيجيات بين الفصائل المحلية للجيش السوري الحر. وقد صوّر هذه الهيكلية مراراً ليس فقط كوسيلة لتنسيق العمليات العسكرية بل أيضاً كضمانة ضد محاولات المتطرفين استغلال المشهد الفوضوي للمقاتلين.

لقد أدى تأسيس المجالس العسكرية إلى نشوء شراكة غير متوقعة بين الشيخ الذي يدعو إلى الوحدة بين جميع الطوائف وينتقد محاولات "أسلمة" الثورة وعدنان العرعور، الشيخ السلفي السوري المثير للجدل المقيم في السعودية الذي يصف الثورة في معظم الأحيان كجزء من صراع سني أوسع ضد الاضطهاد الشيعي. وبصرف النظر عن الدور المحتمل للسعودية في ترسيخ هذه العلاقة، فإن التعاون بين شخصية عسكرية براجماتية وشخصية دينية متشددة يبدو نتاج وجود هدف

مشترك يتمثل في تنظيم صفوف المعارضة تحت قيادة معترف بها وخاضعة للمساءلة وتجنُّب الاقتتال الداخلي. ويؤكد العرعور بشكل منتظم على أهمية المجالس في برنامجه التلفزيوني الذي يبث على الهواء مباشرة ويدعو إلى تقديم التبرعات من خلال الهيئات المناطقية. ويتعامل برنامجه مع الشيخ وقادة المجالس المحليون على أنهم المتحدثين الحصريين باسم الجيش السوري الحر، ويمنحون الخاتم السلفي بالموافقة على حملة أطلقها ضابط يعتبر على نطاق واسع علمانياً ويشكك في الإسلاميين.

ورغم أن المجالس العسكرية برزت بوصفها المتحدث المعترف به باسم الجيش الحر، فإن سجلها على الأرض كان متفاوتاً، حيث لم تحقق سوى نجاح محدود ومحلي في توحيد صفوفها. وفي الحالات التي أثبتت فيها فعاليتها، وضعت هيكليات واضحة، مع وجود سلاسل سيطرة غير مترابطة بقوة وقبلت بتقسيم العمل فيما بينها. وفي حماة، على سبيل المثال، تضم المجالس المحلية تسع عشرة كتيبة (بما فيها أبرز الكتائب الموجودة في المحافظة)؛ والتزمت كل منها بهيكلية تحكم واضحة المعالم. وفي 17 مايو، انتُخب قادة وممثلي المجموعات أعضاء في لجنة تكون مسئولة عن الشئون المالية للمجلس، وشراء الأسلحة، والمسائل الأمنية والتواصل مع وسائل الإعلام. وتوصلوا إلى اتفاق حول مسائل أخرى، مثل توزيع المسئوليات بين قادة وفصائل المجلس؛ وتسليم المجلس المسئولية العامة عن وضع الاستراتيجيات وتنسيق التكتيكات بين الكتائب، وتطبيق الشريعة في التعاملات الداخلية، والتفاعل مع المدنيين ومعاملة الأسرى.

المقاتلين المحليين تحت جناحه؛ وكما في نظيره في حماة، فإنه يزعم امتلاك البنية التحتية الضرورية لتنسيق توزيع الأموال والأسلحة على كتائبه.

وفي المحافظات الأخرى لم تنجح محاولات توحيد الكتائب. وظهر قائد المجلس العسكري في حمص قاسم سعد الدين كنجم إعلامي في مايو 2012 متحدثاً باسم القيادة الداخلية المشتركة للجيش الحر، وهي هيئة تطمح إلى تنسيق التواصل بين فصائل الثوار. لكن حتى مع ادعائه بأنه يتحدث نيابة عن قادة الجيش السوري

الحر في سائر أنحاء البلاد، فإن مجلس سعد الدين أخفق في أن يضم الفصائل العاملة على بعد أميال قليلة من مكتبه، بما في ذلك كتيبة الفاروق. وفي إدلب، يتكون المجلس العسكري من كتائب بارزة في الجيش السوري الحر لكنه لا يضم المجموعات السلفية المستقلة، رغم أن كتائب أحرار الشام ولواء صقور الشام رسّخا موقعيهما كلاعبين محليين هامين. وعلى نحو مماثل، فإن التحالف المهيمن في حلب، لواء التوحيد، شن حملته للسيطرة على المدينة في يوليو ضد رغبات المجلس العسكري المحلي ورفض الاعتراف بقيادة المجلس خلال الأسابيع السبعة الأولى من المعارك. واستغرق الأمر حتى 10 سبتمبر حتى توصل لواء التوحيد ورئيس المجلس عبد الجبار العقيدي إلى إعلان إنشاء قيادة موحدة، هي المجلس العسكري الثوري في محافظة حلب.

تسببت محاولات رصّ الصفوف أيضاً بتوترات داخل قيادة الجيش السوري الحر. كما أن مصطفى الشيخ أقر بوجود خلافات مع رياض الأسعد، فإن الأسعد وقاسم سعد الدين، رئيس مجلس حمص، تخاصما علناً حول أي من مكتبي الاثنين يتحدث نيابة عن الجيش السوري الحر. كما تبقى عملية التنسيق، سواء بين المجالس أو بينها وبين العميد مصطفى الشيخ المقيم في تركيا، غامضة أيضاً، في حين أن العلاقات مع القيادة السياسية لمعارضة المنفى كانت دائما متوترة. ومع اجتماع أعضاء المعارضة في القاهرة في 2 يوليو لمعالجة الانقسامات الطويلة الأمد كما قيل، فإن سعد الدين رئيس مجلس حمص وصف المؤتمر بأنه" مؤامرة"، لأن المشاركين رفضوا الدعوة صراحة للتدخل العسكري الأجنبي. وجهود أخرى كتلك التي أطلقت في أواخر سبتمبر لتأسيس" قيادة مشتركة للمجالس العسكرية الثورية " التي حضرها عدنان العرعور( انظر أدناه ) والتي دعت لتأسيس" دولة مدنية"، والادعاء بأنه يمثل 80 % من المجموعات المسلحة التابعة للمعارضة، لم تسفر عن نتائج ملموسة حتى الآن.

باختصار، ورغم أن المجالس العسكرية ساعدت في تحسين التنسيق، لكنها لم تتمكن من بناء بنية تمثل بشكل كامل مصالح المعارضة أو أن الأموال والأسلحة

القادمة من الخارج يتم تسليمها بشكل موثوق ودقيق إلى أشخاص معروفين. وبالنسبة للمجالس، فإن هذه النقطة الأخيرة بالغة الأهمية: ما لم يتم تمرير الأموال والسلاح القادمين من الخارج من خلالها كي يتم توزيعها لاحقا، فإنها ستجد صعوبة في السيطرة على قادة الكتائب أو إقناع وحدات الجيش السوري الحر المحلية بالتضحية بجزء من استقلالها.

**تحالفات مستقلة**

إضافة إلى المجالس العسكرية، فإن المجموعات المسلحة شكلت تحالفات أخرى في محاولة لتحقيق تنسيق أفضل لعملياتها.

**اتحاد ثوار حمص :**

شُكّل اتحاد ثوار حمص في أواسط مايو 2012 ، وكان واحدة من أولى المحاولات لتشكيل ائتلاف للكتائب المحلية خارج نطاق الجيش السوري الحر. ويضم الاتحاد رسمياً 19 فصيلاً يعمل في حمص وريفها، إضافة إلى منظمة للنشطاء المدنيين ورجل دين واحد على الأقل. ووقع الأعضاء على هيكلية واضحة المعالم في الحوكمة، بما في ذلك تأسيس وحدة قضائية لملء الفراغ الأمني الذي أعقب فقدان النظام للسيطرة المحلية. كما تلتزم الفصائل المختلفة فيه ببرنامج سياسي واسع يصف هدفه بأنه "حكومة وطنية منتخبة شعبياً وذات مرجعية إسلامية."

مثل هذه اللغة الإسلامية المعتدلة التي تستعمل عادة من قبل الأخوان المسلمين للإشارة إلى شكل من أشكال الديمقراطية تنسجم مع الشرعية يمكن أن تعتبر القاسم الأيديولوجي المشترك بالنسبة للمجموعة، التي تضم كتائب سلفية مستقلة وكتائب منضوية تحت لواء الجيش السوري الحر. لقد أعلن اتحاد ثوار حمص مسئوليته عن عمليات مشتركة وأصدر بياناً مع كتيبة الأنصار وكتيبة الفاروق،

مشيراً إلى أن الفصائل القيادية في حمص تعمل بشكل مستقل عن المجلس العسكري الذي يقوده قاسم سعد الدين وربما تنسق عملياتها بتجاوز الانقسامات الأيديولوجية.

## جبهة ثوار سوريا

في 4 يونيو 2012 ، أعلنت جبهة ثوار سوريا تشكلها في مؤتمر صحفي في اسطنبول. ووصفت نفسها بأنها تحالف عسكري يهدف إلى توحيد فصائل المعارضة وتأسيس حكومة جديدة توجهها مبادئ الحرية، والعدالة، والتعددية والشريعة الإسلامية. لكن يبدو أنها انهارت خلال ساعات، حيث علق أكبر مكوناتها العسكرية، كتائب أحرار الشام، عضويته فيها بسبب الخلاف حول طبيعة علاقة الجبهة مع المجلس الوطني السوري. كما ذكرنا، فإن كتائب أحرار الشام عادت عن قرارها في أواسط يوليو، في أعقاب تبني بيان سياسي جديد يؤكد الالتزام بالمبادئ الإسلامية. وفي مقابلة لاحقة، شرح المجلس التنفيذي للجبهة أنها ليست سلفية ولا إخوانية (مرتبطة بالإخوان المسلمين)، رغم أنها تضم أعضاء من كلا التيارين الأيديولوجيين. وعلى حد تعبيره، فإن الإسلاميين يهيمنون على مشهد المجموعات المسلحة، وأن هدف الجبهة هو توحيد جميع فصائل الثوار تحت راية الإسلام وباسم الجهاد. ولم تحظ الجبهة بقدر كبير من الاهتمام على الإنترنت وفي وسائل الإعلام العربية بعد أول موجة من الاهتمام، وهكذا فقد أخفقت باجتذاب فصائل مسلحة بارزة أخرى. وبصرف النظر عن كتائب أحرار الشام، فإن مجموعات الثوار المشاركة فيها ثانوية نسبياً ومعزولة جغرافياً عن بعضها البعض. وهكذا فإن الجبهة تلقت حتى الآن تمويلاً من رجل دين كويتي بارز على الأقل، إلا أن مستقبلها السياسي قد يعتمد على مدى فائدة التحالف وصلته بأقوى مكوناته، كتائب أحرار الشام.

## لواء التوحيد

يمثل لواء التوحيد القوة الدافعة وراء قوة الثوار في حلب، كما يمثل المحاولة الأكثر تقدماً حتى الآن لتوحيد الكتائب المحلية الرئيسية في هيكلية قيادية موحدة.

تشكّل اللواء في 18 يوليو 2012 في أعقاب سلسلة من الاجتماعات عقدت بين قادة الثوار المحليين من ريف حلب، والبلدات والمناطق الريفية التي تحيط بالعاصمة الاقتصادية لسورية. وعلى النقيض من تحالفات المسلحين السابق ذكرها، فإن لواء التوحيد قدّم نفسه منذ البداية على أنه وحدة عسكرية واحدة متماسكة تعمل تحت قيادة موحدة وليس كتحالف لكتائب منفردة. وفي هذا الصدد، فإنه استفاد من البنية التحتية التي أسسها مجلس ثوار حلب وريفها وجناحه العسكري الرسمي، لواء أحرار الشمال، وهو قوة ثورية بارزة يشكل مقاتلوه حاليا العمود الفقري للواء التوحيد. ورئيس المجلس الثوري، عبد العزيز السلامة، ومقره تل رفعت، حوالي 25 كم شمال حلب، أشرف على الشئون العسكرية والمدنية في معظم ريف حلب الشمالي منذ يناير 2012 وهو القائد الرسمي الحالي للواء التوحيد. وفي ١٩ يوليو، بدأ مقاتلو المجموعة بالتحرك من الريف إلى مركز مدينة حلب. وإلى حد ما، فإن أداء لواء التوحيد منذ ذلك الحين يعكس أداء الجماعات المسلحة بشكل عام، ويشير إلى أن قدرتها على التنسيق تتحسن لكنها تبقى محدودة. ويعترف بالحاجة إلى ملء الفراغ الأمني المتزايد، إلا أن سجله في تنفيذ ذلك مختلط؛ وساعدت هجماتها في حلب على تعزيز خطوط التماس الاجتماعية بإبراز بعض الأوجه الأكثر سواداً لمجموعات المعارضة المسلحة، في حين فشلت في المحافظة على مكتسباتها ضد النظام. وأحجمت حلب عن المشاركة في الثورة التي شاركت بها معظم البلدات والمدن المحيطة بها، ولذلك فإن جزءاً كبيراً من سكان المدينة أخلوها. وفي هذه الأثناء كان الثوار من الريف المحيط بحلب يخوضون معارك ضد قوات النظام للسيطرة على أحياء المدينة.

وصعّد النظام، الذي لم يكن راغباً في وضع قواته التي كانت تقاتل في أكثر من مكان في معارك مدن تشكل مخاطرة بالنسبة لها، هجومه المضاد في 24 يوليو باستعمال القوات الجوية، وقصف المناطق التي يسيطر عليها الثوار عن بعد. وكثير من الحلبيين الذي ظلوا في المدينة يحمّلون المسئولية للمعارضة المسلحة جراء خسائرهم الكبيرة ومعاناتهم، وذُكر عن توترات نشأت بين السكان والمقاتلين؛ حيث

يشكك كثير من السكان بالاستراتيجية التي اتبعتها المعارضة وكانوا غاضبين لأن القرار بغزو المدينة أجبرهم على النزوح من منازلهم. كما ساهمت عدم قدرة لواء التوحيد على منع ارتفاع معدلات الجريمة، كما أن تعامله الوحشي مع الموالين للنظام أساء إلى مكانته بين السكان. وفي المحصلة، علق الحلبيون بين القصف الأعمى لنظام وحشي وانعدام تنظيم المعارضة التي فشلت في إعطائهم بديل ملموس قابل للحياة. كما تعكس الميول الأيديولوجية للواء التوحيد (أو عدم وجودها) تلك الموجودة لدى مجموعات المعارضة الرئيسية. ورغم أن مقاتليه يشيرون إلى أنفسهم على أنهم أعضاء في الجيش السوري الحر، فإن القيادة تعترف بأن علاقتها به رمزية أكثر منها فعلية. وكمعظم التشكيلات المقاتلة تحت راية الجيش السوري الحر، فإنه يرفض أي أيديولوجية معينة، ويستحضر بدلا من ذلك التزاماً واسعاً بمبادئ الديمقراطية والتعايش بين الطوائف إضافة إلى إظهار علامات التقوى السنية الشخصية بشكل متكرر ويميّز أفراده أنفسهم عن جبهة النصرة والمجموعات الأخرى عند نهاية الطيف السلفي بالادعاء بأنهم يسعون إلى قيام دولة تقوم على المواطنية العلمانية والمساواة بين الطوائف. ويبدو أن المبدأ الموجه للواء التوحيد هو البراجماتية أكثر من أي شيء آخر. وقد وصف قائده الميداني عبد القادر الصالح جبهة النصرة والمجلس الوطني السوري بأنهم" أخوتنا"، مشيد اً بالأولى لدورها في المعركة والأخير لتمثيله المعارضة. وأن يأتي ذلك من قائد للثوار متلهف للحصول على الدعم المادي والتكتيكي، فإن هذا المديح أمر مفهوم، رغم أن المنظمتين المعنيتين تتشاطران عداوة متبادلة.

## تجمع أنصار الإسلام

شكّل التجمع في 8 أغسطس 2012 ، وهو يضم سبعة من فصائل الثوار الناشطة في دمشق والضواحي المحيطة بها. وتضم هذه الفصائل بشكل أساسي أبرز الفصائل السلفية المستقلة في المنطقة، وهو لواء الإسلام، إضافة إلى فصائل قيادية في الجيش السوري الحر ترتبط بالمجلس العسكري في دمشق وريفها. وكما في حال

تحالفات الثوار الأخرى، يبدو أن العضوية في هذه الكتائب متذبذبة، والمشاركة لا تستبعد التعاون مع أو حتى العضوية في تحالفات منفصلة للمقاتلين. والرسالة المعلنة لهذا التحالف "توحيد الجهود في دمشق وريفها من أجل الإطاحة بعصابة الأسد " تعكس غياب أيديولوجيا واضحة؛ وبتلك الروح، فإن العلم الثلاثي للثوار يوجد جنباً إلى جنب مع الأعلام الإسلامية السوداء على مواده المنشورة على الإنترنت، وتحتوي صفحته على الإنترنت على مقاطع تسهم بها جميع أجزاء الطيف الأيديولوجي. وأعلنت المجموعة مسئوليتها عن أول عملية كبرى في 15 أغسطس 2012، وهي هجوم بشاحنة مفخخة على بناء عسكري بالقرب من الفندق الذي يقيم فيه موظفو الأمم المتحدة.

**لواء الحق**

أسس لواء الحق في 11 أغسطس 2012 ، ويضم كتيبة الأنصار وثلاثة فصائل مستقلة تعمل في حمص. في أول بيان رسمي له، تعهد بمتابعة الجهاد إلى أن يتم استبدال نظام الأسد بالحكم الإسلامي العادل؛ وبرر تأسيسه كخطوة نحو توحيد صفوف الثوار. ورغم ذلك، فإن فشله في اجتذاب الفصائل البارزة التي كانت كتيبة الأنصار قد عملت معها في الماضي تشير إلى أنه لم ينجح في توحيد مشهد المجموعات المسلحة في حمص.

**جبهة تحرير سوريا**

تشكلت الجبهة في 12 سبتمبر 2012 ، وتقدم نفسها على أنها تحالف مستقل غير مسبوق يتكون من الفصائل النشطة في عدة محافظات، بما في ذلك اثنتين من أبرز قوات الثورة: لواء صقور الشام وكتائب الفاروق. وفي البيان التأسيسي المسجل بصوت قائد صقور الشام أبو عيسى أحمد الشيخ والمنشور على صفحة الفاروق على فيسبوك، تذكر جبهة تحرير سوريا أن أبو عيسى هو قائدها وأن "الشريعة الإسلامية مرجعيتها"، بينما تتعهد بالدفاع عن جميع السوريين بصرف النظر عن الطائفة أو العرق. وكما في حالة اتحاد ثوار حمص، فإن مثل تلك الإشارات الغامضة إلى الفكر

الإسلامي مع جرعة موازنة من التلميحات غير الملزمة إلى التعددية تهدف إلى إرضاء جملة واسعة من المكونات وتجنّب احتمالات الانقسام الكامنة في برنامج أيديولوجي واضح.

ومن السابق لأوانه تقييم عمق ونطاق التنسيق الذي ستحققه الفصائل الأعضاء. وثمة تشوش واختلاط أوّلي يحيط بإطلاق التحالف ويشير إلى عقبات تعيق التعاون المثمر بين المجموعات التي تعمل في أجزاء مختلفة من البلاد. وبعد ثلاثة أيام من التعريف عن نفسه كعضو في البيان التأسيسي للتحالف، أطلق تجمع أنصار الإسلام (وهو تحالف بارز لمقاتلي دمشق سنناقشه أدناه) بيانه الخاص منكراً أنه انضم إلى الجبهة.

التعليق

*د/ ناجح إبراهيم*

## الثورة السورية تضحيات سلفية.. وحرب مذهبية بالوكالة

- تعتبر الدولة السورية ذات وضع خاص جداً في كل شيء.. فهي محاطة بعدة دول قوية مثل تركيا وإيران والعراق .. وعدة دول معقدة التركيب والهوية مثل لبنان .. ودول أخري تعد خصماً عربياً تقليدياً لها مثل الأردن .. فضلاً عن العدو التقليدي

- لها وهو إسرائيل .

- وقد كان هناك تلاحم رسمي وشعبي وجغرافي وتاريخي شبه دائم بين سوريا ولبنان .. وكانت الأولي تتحكم تحكماً مقيتاً في معظم الملفات اللبنانية إلي وقت قريب .. حتى سئم اللبنانيون من هذا التحكم المتجاوز وأجبروا القوات السورية علي الرحيل نهائياً من لبنان طاردة معها النفوذ السوري.

- ولكن السياسة السورية استعاضت عنه بالعلاقة الوثيقة والتحالف القوي مع حزب الله .

- لقد كانت علاقات سوريا بدول الخليج العربي جيدة حتى نهاية عهد حافظ الأسد ولكنها تدهورت كثيراً بعد التحالف الاستراتيجي بين نظام بشار وإيران .. والدعم اللا محدود من إيران لبشار ونظامه وفي المنتصف منهما حزب الله اللبناني .. بحيث يقوم هؤلاء بالحرب بالوكالة مع إسرائيل نيابة عن إيران وكانت حماس إلي وقت قريب عضواً رئيسياً في هذا التحالف لتضمن تدفق الأموال والأسلحة والدعم السياسي الإيراني عبر دمشق .. غير أن تحالف حماس مع نظام بشار قد تم حله وفكه بعد الثورة السورية ضد بشار الأسد .. فقد وجدت حماس

حليفها السني ووالدها الحقيقي في جماعة الإخوان في مصر والتي تبوأت سدة الحكم وأغنتها عن الحليف الشيعي الذي تختلف معه في كثير من الأمور .

- لقد كان القدر رحيماً بحماس .. فوجدت في مصر الثورة ما هو أفضل بكثير مما وجدته عند سوريا بشار .

- لقد ورث بشار الحكم عن أبيه بطريقة تحمل الكثير من التسرع وعدم التدقيق والغباء أيضا.. إذ نص الدستور السوري علي أن أصغر سن للرئاسة ٣٤ عاما.. وهذا هو عمر بشار بالتمام والكمال وقت تسلمه للحكم .. والدساتير عادة تنص علي الأربعين أو أرقام صحيحة علي الأقل .

- كما أنه دخل كلية أركان الحرب وهو طبيب عيون لا علاقة له بالعسكرية من قبل ليحصل علي ماجستير العلوم العسكرية بامتياز ويحقق ١٠٠% في كل المواد في أول سابقة في هذه الكلية العسكرية العريقة وكأن بشار ووالده لا يعيشون في القرن العشرين .. ولكن كل ذلك كان في كفة ونشره للتشيع بين أطياف الشعب السوري صاحب الأغلبية السنية في كفة أخري .

- فضلا عن تحويل الأجهزة الأمنية والعسكرية إلي أجهزة طائفية يغلب عليها العنصر العلوي الشيعي أو العنصر السني الموالي تماما لهم .. فضلا عن تغلغل النفوذ الإيراني ونفوذ حزب الله في كل القطاعات السورية .. وذلك كله أغضب السنة عامة والسلفيين خاصة .. فإذا أضيف إلي ذلك محاربة نظام الأسد لكل الحركات الإسلامية ومطاردتهم لكل علماء السنة .

<u>السلفيون والقاعدة والشيعة</u>

- السلفيون في غالبهم يعتبرون الشيعة الإيرانيين والعلويين وشيعة حزب الله كفار ولهم فتاوى مشهورة في ذلك بعضها معلن وبعضها غير معلن .. بل إن معظمهم يعتبر أن معركتهم مع الشيعة أولي من معركتهم مع إسرائيل أو أمريكا التي تحتل بعض بلاد المسلمين .. وبعضهم يجاهر بالقول منذ زمن أن الشيعة أخطر علي

الإسلام من إسرائيل .. ورغم أن هذا القول يصطدم مع أبجديات الولاء والبراء في الإسلام وترتيب الولاءات في سلم الولاء أو ترتيب العداءات في سلم العداوة.. إلا أن السلفية يعتبرون أن قضيتهم الأولي والأخيرة هي الحرب مع الشيعة .. ولذا فإنهم يكفرون النظام السوري من ناحيتين :-

- الأولي: عدم تطبيق الشريعة ومحاربة من يطالب بها .
- الثانية: التمذهب بالمذهب العلوي .. وهم في ذلك يرجعون لكتابات العلامة ابن تيمية التي يكفر فيها "النصيرية" وهم قسم من أقسام الشيعة يمثلهم العلويون في زماننا .
- والفكر السلفي قد يري الصبر علي ظلم الحاكم وبغيه إذا كان سنيا .. ولكنه لا يقبل وجود حاكم أو فئة حاكمة شيعية.. يستوي في ذلك الفكر السلفي الذي نشأ في الخليج والذي يرفض تكفير الحكام الليبراليين أو العلمانيين السنة مثل حسني مبارك أو علي عبد الله صالح أو صدام حسين أو ممن علي شاكلتهم .
- أما فكر تنظيم القاعدة فهو يكفر هؤلاء الحكام جميعا ويكفر معهم الشيعة.. وكلنا يعلم العداء الدفين" فكرياً وواقعياً علي الأرض " بين الشيعة في أفغانستان أو إيران والقاعدة.
- والجميع يعلم الكثير عن الحرب التي دارت بين القاعدة وشيعة العراق والتي وصلت بينهما إلي تفجير المساجد السنية من قبل الشيعة وتفجير المراقد الشيعية من قبل القاعدة .. فضلا عن تبني كل منهما فكرة القتل بالمذهب أو الاسم.. فكان الشيعة يقتلون كل من تسمي بأسماء مثل أبو بكر وعمر وعثمان أو معاوية أو مروان .. وفي المقابل كانت القاعدة تفجر الأسواق في المناطق الشيعية.
- لقد بدأت الحرب الطائفية المذهبية في العراق .. ولم تنته حتى اليوم رغم تهجير قرابة ٤ مليون عراقي معظمهم من السنة .. ورغم قتل وجرح قرابة مليون عراقي آخر .

- وقد بدأت الثورة السورية في البداية بطريقة غير طائفية .. إنها ثورة شعب ضد حاكم ظالم .. إنها الامتداد لثورة تونس ومصر واليمن .

- وقد كان نجاح هذه الثورات دافعا قويا للشعب السوري لخلع بشار ونظامه .. وقد بدأت الثورة السورية كثورة شعبية سلمية تضم البسطاء والفقراء والمتدينين ومعهم كل من أضير من نظام بشار.. والذين لم يستفيدوا من الانفتاح الاقتصادي الذي استفادت منه النخبة الحاكمة فقط.

- بدأت الثورة السورية بداية عادية تحمل طابعا وطنيا ولا تحمل ولاءات إسلامية أو طائفية .. وبدأت سلمية ولم ترفع أية شعارات لمحاربة الكفار .. أو شعارات جهادية واضحة .. أو إقامة دولة إسلامية سنية ..أو الإطاحة بالشيعة.. ولكن عناد النظام السوري من جهة واستخدامه العنف المفرط من جهة أخري .. وإطلاقه يد الشبيحة في القتل مع استخدام الأسلحة الثقيلة في دك المدن السنية .. واعتقال عشرات الآلاف من شباب السنة فضلا عن الأطفال والنساء والشيوخ والرهائن .. فضلا عن الدعم الإيراني اللا محدود لبشار .. ونزول مقاتلي حزب الله جهارا نهارا في الملعب السوري لمساندة قوات بشار .

- كل ما سبق ذكره حول الأمور في سوريا من مجرد ثورة شعبية علي حاكم ظالم إلي معركة مذهبية بين السنة والشيعة .. وخاصة بعد أن دخلت معظم الدول السنية مثل تركيا ومصر والسعودية والأردن وقطر ودول خليجية أخري الملعب السوري في مواجهة بشار .

- ولقيت هذه الدول السنية دعما غربيا وأمريكيا قويا ليس حبا في السنة أو كراهية في الشيعة .. ولكن حربا علي إيران ومحاولة لإنهاكها بإسقاط حلفائها الاستراتيجيين في المنطقة وعلي رأسهم بشار سوريا.. حيث أن سقوطه سوف يساهم في حصار حزب الله وكل ذلك سيصب في مصلحة أمريكا وإسرائيل .

- لقد جاء المجاهدون عامة والسلفيون خاصة من معظم البلاد المجاورة .. حيث أعادوا تجربة أفغانستان إلي الأذهان .

- ويمكنني أن ألخص أهم أفكار المجاهدين السلفيين الذين يقاتلون الآن إلي جوار الجيش السوري الحر في الآتي:

- أولاً : يرون جميعا كفر النظام السوري كله انطلاقا من قاعدتين هما:

- ١- عدم تطبيقه للشريعة ومحاربته لها من ناحية واعتناقه للمذهب العلوي الشيعي من ناحية .

- ٢- تكفير كل أبناء الطائفة العلوية الشيعية .. وكذلك تكفير الشيعة الإيرانيين وشيعة حزب الله إذ أنهم يتبعون المذهب الاثنا عشري.

- ثانياً : يريدون إقامة دولة إسلامية علي الأرض السورية تطبق الشريعة وترفض الديمقراطية وتأبي فكرة التعددية الحزبية .. إذا أن معظم هذا الشباب لا يؤمن بالديمقراطية ويعتبرونها ديناً موازيا لدين الإسلام ولا يؤمنون بالتعددية السياسية .. وهذا سيسبب مشكلة كبيرة لهم بعد الانتصار علي بشار وأعوانه.. فقد يحدث اختلاف كبير علي طريقة إدارة الدولة بعد زوال حكم بشار .. كما حدث في أفغانستان حينما وقع الخلاف والاقتتال بين المجاهدين الأفغان بعد وصولهم للسلطة.

- ثالثاً: يضاف إلي هذه الأفكار كلها التي يعتنقها السلفيون هناك أفكار القاعدة التي تعمل هناك تحت مسميات مختلفة .. وهي تؤمن بفكرة التفجيرات العشوائية ضد كل مستويات نظام بشار وكذلك الشيعة.. حتى لو أدي ذلك إلي قتل مدنيين آخرين بحسب نظرية "التترس" التي تؤمن بها القاعدة التي تؤدي تفجيراتها عادة إلي قتل مدنيين ونساء وأطفال.. وتعتبر أن قتل هؤلاء جائز "ويبعثون علي نياتهم" رغم المخالفة الصريحة للأحكام الإسلامية الثابتة التي تنهي عن قتل المدنيين حتى من غير المسلمين في حالة الحرب .

- رابعاً: أكثر الذين ذهبوا ألي سوريا من الشباب السلفي يريد الشهادة في سبيل الله . وهو مستعد لتفجير نفسه لأنه يعتقد خطأ أن الموت .." يراد لذاته أو غاية في ذاته وليس وسيلة لتحقيق غاية أكبر منها" .. وأن تغرير المسلم بنفسه أو إهلاكه لبدنه له ضوابط وأحكام في الشريعة التي لا تتيح قتل الآخرين إلا لمصلحة أعلي من قتلهم بكثير.. ولا تتيح كذلك من باب أولي قتل الإنسان لنفسه إلا بضوابط ومصالح وغايات أرفع وأشد دقة.

- ولكن كل الشباب الذي يذهب إلي سوريا يقول:

- "أنا أريد الشهادة بأي طريقة" .. وكل هؤلاء ينسون أن مخابرات الدنيا كلها تلعب الآن في الملعب السوري كل حسب غرضه وهدفه .

تجربة سوريا .. وتجربة أفغانستان

- يعتقد الكثير من شباب المجاهدين الذين يذهبون إلي سوريا أنه أفضل ميدان للجهاد الإسلامي تطبق فيه فريضة الجهاد بعد ميدان أفغانستان .. وفي الحقيقة هناك تشابهات واختلافات بين الأمرين .

- لقد دعم العالم الغربي كله باكستان وقتها لنقل الدعم البشري والتدريبي والتسليحي من بيشاور الباكستانية إلي أفغانستان لإجبار الروس علي الرحيل بعد هزيمتهم .. وكانت هذه بداية النهاية للإتحاد السوفيتي .

- واليوم تحل تركيا محل باكستان حيث فتحت حدودها لنقل المجاهدين ومعهم الدعم المادي والتقني والإعلامي والتسليحي إلي داخل سوريا لينضموا إلي فصائل الجيش السوري الحر .

- وتأمل كل هذه البلاد بأن تسفر جهود هؤلاء المجاهدين عن هزيمة بشار ونظامه .. أو علي الأقل وجود دولتين سوريتين أحدهما سنية والأخرى شيعية .

- وبذلك تضع هذه الثورة السورية بداية النهاية للتمدد الإمبراطوري الإيراني في المنطقة العربية وبالتالي سحب نفوذها من الدول العربية عامة وإيقاف زحفها إلي

دول الخليج العربي .. متذكرين ما حدث للإمبراطورية السوفيتية من انكماش عالمي كبير بعد هزيمتها في أفغانستان وانكفائها علي نفسها ثم تمزقها .

- لقد أدرك العالم الغربي قبل ذلك وعلي رأسهم أمريكا أنه لن يهزم الاتحاد السوفيتي في أفغانستان سوي العقيدة الإسلامية.. واليوم يدركون مع حلفائهم أنه لن يهزم العقيدة الشيعية سوي العقيدة السنية .. وأظن أن هذه هي الفكرة الرئيسية لدى صانع القرار الأمريكي.

- وعلينا أن ندرك أن هذه المواجهة قد تحمل بداية حرب طائفية مذهبية تجتاح الوطن العربي كله.. وقد تكون بديلاًعن الصراع العربي الإسرائيلي كما حذر الكاتب الكبير/ محمد حسنين هيكل.

لماذا يرسل السلفيون والقاعدة أبناءهم إلي سوريا دون سواهم ؟!!

- إننا نلاحظ أن الجماعات الإسلامية المُخضرمة سياسياً مثل " جماعة الإخوان المسلمين خارج سوريا " تنأي بأبنائها أن ترسلهم في أتون المعركة ضد بشار .. مكتفية بأن يمهد لها السلفيون والقاعدة الأرض ويحرثوها لها لتصعد هناك بجاهزيتها وذكائها السياسي وحسن إعدادها لسدة الحكم دون تكلفة كبيرة .. فضلاً عن أنها تنأى بنفسها أن تدخل في معركة مباشرة مع إيران أو حزب الله .. مما يضيف إليها خصوماً إقليمين كانوا في وقت قريب حلفاء لهم .

- إنها تدرك أن أبناءها سيهلكون جميعا لو قذفت بهم في أتون المعركة السورية التي تحصد المئات من الطرفين يوميا .. في الوقت الذي تقوم فيه الجماعات السلفية المصرية مثل الجماعات السلفية الجهادية وتنظيمات الجهاد المصرية وحازمون وحزب النور بإرسال أبنائهم هناك .. فضلاًعن أقرانهم من الشباب السلفي الذين يسافرون يومياً من دول عربية وخليجية كثيرة إلي تركيا ومنها إلي الداخل السوري .

- إنني أخشي أن تتحول الثورة السورية إلي حرب بالوكالة بين إيران والغرب .. يحارب فيها حزب الله ونظام بشار بالمال والسلاح الإيراني بديلا عن إيران .. ويحارب فيها السلفيون والقاعدة ومن خلفهم تركيا وقطر ودول الخليج السنية بديلا عن الغرب وأمريكا.

- وقد لا تنتج هذه الحرب بالوكالة سوي دولتين سوريتين ضعيفتين متنازعتين متصارعتين.. تكتفي كل منهما بصراعها مع أختها بديلا عن مواجهة إسرائيل أو التفكير في ذلك.. لنرى نموذجاً آخر من شمال وجنوب السودان .. ويتحول الشباب السلفي إلي وقود لهذه المعارك .. ثم بعد ذلك يفاجأ بأنه لم يدرك دولة إسلامية تطبق الشريعة ولا دولة قوية تخيف إسرائيل أو تحمي نفسها .. وقد يجد نفسه أمام دولة ضعيفة يتدخل في سياستها الداخلية والخارجية كل من هب ودب من الجيران .. فلا تستطيع إقامة لا جوهر الشريعة ولا حتى رسمها .

- قد يكون هذا الاحتمال متشائما .. ولكن النظر إلي تجربتي أفغانستان وشمال وجنوب السودان وتاريخ وحجم التضحيات فيهما قد يجعلنا ندرك أن بعضنا يحارب معارك الآخرين دون أن ندري .

- قد يقتل بشار أو يسجن أو يترك الحكم .. لكن سيطرة المقاتلين السلفيين علي سوريا هو أمر ليس باليسير في ظل وجود السلاح الثقيل مع كل الأطياف السورية مثل الأكراد والمسيحيين والعلويين.

العدد ٩٨ - السنة التاسعة
فبراير ٢٠١٣


رقم الإيداع : ١٢٥٠١ لسنة ٢٠٠٤







المركز الدولى للدراسات المستقبلية والإستراتيجية

٦ شارع النبوى المهندس – حى السفارات – مدينة نصر
تليفون : ٢٢٧٣٨٨٣٣ – فاكس : ٢٢٧١٣٥٠٥
6, El-Nabawi El-Mohandis Street, Al-Sefarat neighborhood, Nasr City.
Tel.: 2273 88 33 - Fax: 227 13 505
www.icfsthinktank.org info@icfsthinktank.org